# الورقة الموجزة

Internationa Crisis Group
WORKING TO PREVENT
CONFLICT WORLDWIDE

الورقة الموجزة حول الشرق الأوسط رقم 25

رام الله، غزّة، بروكسل، 17 كانون الأوّل/ديسمبر 2008

## تصدع الصف الفلسطيني

## I. لمحة عامة

ليست عملية المصالحة الحالية بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) إلا امتداداً للنزاع الدائر بين الحركتين ولكن باستخدام وسائل مختلفة. فالحركتان تنشدان تحقيق الشرعية الوطنية والإقليمية وإحكام السيطرة على الأرض بمعزل عن ترسيخ الوحدة الوطنية. وليس المسعى عسيراً على الفهم. ففي هذه المرحلة، يرى الطرفان في التسوية كلفة أكثر منه منفعة، حيث يترتب عن التسوية خسارة غزة لإحداهما وشراكة عسيرة مقرونة بموطئ قدم إسلامي في منظمة التحرير الفلسطينية الثانية. فعلى المستوى الإقليمي، لا العربية وهي تفتقر بذلك لدافع يحدو بها إلى الضغط على حماس العربية وهي تفتقر بذلك لدافع يحدو بها إلى الضغط على حماس علناً كقة فتح. ولا بد من إحقاق تغيّرات وطنيّة وإقليميّة ودوليّة جذريّة إذا أريد لهذه المواقف أن تتبدّل. فلقد قدر لنزاع فلسطين على الأرض والسياسة والذي طوى عامه الأول أن يدوم.

وتشاء سخرية القدر أن يتسع الصدع بين الضقة الغربية وغزة في حين يُسلم عدد متزايد من الفعاليات الدولية أنه في غياب وحدة فلسطين، لا يُمكن التوصل إلى عملية سلام فعلية، ناهيك عن سلام فعلي. وسيكون محبطاً بلا شك تغيير الديناميكيات التي أقنعت فتح وحماس بأن الوقت على خلاف التسوية يعمل لصالحهما. وهكذا تغيير يقتضي على الأقل تغييراً في المشهد الإقليمي (من خلال توافق الولايات المتحدة مع سوريا وإيران) مفادها أنها ستحكم على تسوية الوحدة الفلسطينية انطلاقا من مسلكها بدل القيام تلقائياً بنسفها. وفي نهاية المطاف، يقع على مسلكها بدل القيام تلقائياً بنسفها. وفي نهاية المطاف، يقع على الحركة الوطنية والذي حصل نتيجة ما ارتكبه الدخلاء لن يعود ويلتحم ما لم يمد الدخلاء يد المساعدة.

وفي نهاية الأمر، تنشد الحركتان من العمليّة محصّلات مختلفة كلّ الاختلاف. فمن جهة ترمي فتح إلى كفّ سيطرة حماس على غزّة؛ وأقلّ ما يُقال في هذا النهج أنّه سبيل إلى إضفاء شرعيّة على تمديد ولاية محمود عبّاس؛ وفي حال الفشل، إلى الإلقاء بالملامة على الحركة الإسلاميّة. ومن جهة أخرى تسعى حماس على العكس من هذا، إلى كسب الاعتراف والشرعيّة والتطفل على منظمة التحرير الفلسطينيّة وكبح الضغط الممارس على الحركة في الضفة الغربيّة. وحيث لا يطيب لها تسليم السيطرة على غزّة، تراها تقعد العزم على رفض الاستسلام من دون إحداث لغط استراتيجي مضمون.

اتسعت الهوة بين الحركتين مع مرور الوقت. وما كان ممكناً قبل عام أو اثنين بات اليوم محفوفاً بالمشاكل. في شهر كانون الثاني/يناير 2006، أظهر الرئيس عبّاس بعضاً من المرونة، أمّا اليوم فباتت هذه الصفة عملة نادرة. ولا شكّ في أنّ هزيمة فتح المخزية في غزّة وتكتيكات حماس الدمويّة قد صلبت موقف الرئيس وحركة فتح. وعلى رغم التقدّم البطيء في الضفة الغربيّة والمفاوضات السياسيّة المتعثرة مع إسرائيل، يُبدي الرئيس وأعوانه أملاً في أن الوضع إلى تحسّن. وهم على قناعة راسخة بأنهم أملاً في أن الوضع إلى تحسّن. وهم على قناعة راسخة بأنهم الأمن حديثة التدريب ومتينة العتاد من ضبط الأمن وإنزال الجراءات صارمة بحق حماس؛ يُضاف إلى هذا تراجع إسرائيل عن فرض بعض الضوابط وبروز دلائل نمو اقتصادي. كما يتمتع عبّاس بدعم إقليمي ودولي متين وهو يأمل أن تكثف الولايات يتمتع عبّاس بدعم إقليمي ودولي متين وهو يأمل أن تكثف الولايات

ويبدو تحليل الكلفة للمنفعة في غاية الوضوح: قد تعني المصالحة نهاية احتكار فتح للشؤون الإداريّة والأمنيّة في الضفة الغربيّة، أي حكماً تنازلاً عن الهيمنة على منظمة التحرير الفلسطينيّة، في حين قد تُهدد الشراكة مع حماس المفاوضات مع إسرائيل والدعم الدولي والمالي للسلطة الفلسطينيّة. وفي مقابل هذا الثمن الباهظ بالكاد تكسب الحركة أكثر من مجرّد سيطرة مشتركة على غزّة حيث تقلص نفوذ رام الله حتى قبل أن تضع حماس يدها عليها.

وحتى الساعة ترى حماس، هي الأخرى، في الوقت حليفاً لها وفي المصالحة فحّاً يُنصب وترى القادة الإسلاميين الذين راهنوا في خلال الانتخابات النيابيّة لعام 2006 على العمليّة السياسيّة وسعوا إلى الاندماج في صفوف السلطة الفلسطينيّة يفقدون السيطرة وهدفت الحركة بعد ذلك إلى الفوز بالقدرة على الحكم وكسب الاعتراف الدولي. وبعد إحكام السيطرة على غزّة، باتت حماس تسدد ثمنا أكبر لدمجها في النظام السياسي. ولعلّ مثال غزّة – من الصمود أمام الحصار والإبقاء على مبادئ إيديولوجيّة أساسيّة والتوصل إلى وقفٍ لإطلاق النار مع إسرائيل – ليس جلّ ما تريده حماس بيد أنّه حقق النجاح المرجو. فسكان غزّة يعانون أزمة اقتصاديّة واجتماعيّة خانقة، في حين تنعم الحركة الإسلاميّة بأمن داخلي، حيث ثلد نخب جديدة تعوّل على الحركة وتبدو الوظائف الحكوميّة الأساسيّة مستدامة.

وفي حين شكك قادة حماس منذ اللحظة الأولى في مفاوضات عبّاس مع رئيس الوزراء الإسرائيلي أولمرت، تراهم على قناعة من أنّ فرص تحقيق خرق دبلوماسي ستشكّل ضربة أكبر إذا تولى زعيم الليكود بنيامين نتنياهو، كما هو متوقع، تشكيل حكومة إسرائيل المقبلة. وفي الضفة الغربية، هم متأكدون أنّ عدداً متناميا من الفلسطينيين يرمق التعاون بين قوّات الأمن الإسرائيلية والفلسطينية شزراً ويرى فيها ضرباً من التعاون مع المحتل. وأخيراً، يظنون أنّ شرعية عبّاس المحلية تكون قد تقوضيت حين

تنتهي ولايته بتاريخ 9 كانون الثاني/يناير 2009. فبالنسبة إلى مجموعةٍ متناميةٍ من قادة حماس السياسيين، إلى جانب جناح الحركة العسكري المتزايد نفوذاً، ليست المصالحة سوى مكيدة نصبت لحرمانهم السيطرة على غزة بلا مكسب مقابل.

## ال محاولات المصالحة

### مواضيع على المحك

غداة سيطرة حماس على غزة في شهر حزيران/يونيو 2007 وتشكيل حكومة جديدة في الضفة الغربيّة بقيادة رئيس الوزراء سلام فياض<sup>1</sup>، سارعت الحركتان إلى ترسيم مواقفهما من المصالحة. وظاهرياً أبدى الطرفان توافقاً حول المواضيع التي تستوجب الحلّ:

تشكيل حكومة جديدة تحكم كلّ من الضفة الغربيّة وقطاع غزّة. أعرب عبّاس عن مؤاثرته تشكيل حكومة تكنوقراط أو حكومة توافق وطنى ملتزمة اتفاقات منظمة التحرير الفلسطينية ويُعيّن فيها كلّ من الطرفين أعضاء مستقلين. ونظراً لغياب مشاركة حماس الرسميّة في الحكومة، أغلب الظنّ أنّ الولايات المتحدة وأوروبا لن تعمدا إلى مقاطعتها أو معاقبتها. واقترح مستشارو الرئيس عبّاس سرّاً، إعمال نماذج أخرى على شاكلة "الحلّ اللبناني" تعيّن فيه حماس (على غرار حزب الله) بعض الوزراء الذين لا يكون بينهم وبين الأسرة الدوليّة تعاطياً والذين يستطيعون رفض برنامج حكومي أو معارضته ٢

على ضوء فوزها في انتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني عام 2006، طلبت حماس تشكيل حكومة وحدة وطنيّة تضمّ في أكثريّتها أعضاء يمثلون الحركة. ورفضت تشكيل حكومة تكنوقراط بالقول إنّ "حكومة تكنوقراط ليست فكرةً سياسيّةً

فَلْسَطِّينَيَّةً. فَالْشُعْبُ يُرَيِّدُ أَنْ يُعْرِفُ: هَلَ فَلَانَ وَفَلَانَ "تَكُنُوقُرَاطُ

فى حزيران/يونيو 2007، شكّلت سيطرة حماس على غزّة نهايـة $^{1}$ حكوَّمة الوحدة الوطنيّة التي تأسست نتيجة لاتفاق مكّة الذي أبرم برعاية سعوديّة في شهر شباط/فبراير 2007. ونصّ اتفاق مكّة على التأسيس لحكومة (تحلّ بديلاً عن حكومة حماس القائمة منذ شهر أذار/مارس 2006) "تحترم القرارات والاتفاقات العربيّة والدوليّة الشرعيّة التي وقعت عليها منظمة التحرير الفلسطينيّة". كما لزم الاتفاق الطرفين "بتطوير وإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية"، مع أنّ هذا لم يحصل أبدأ. مراجعة تقرير مجموعة الأزمات الدوليّة رقم 62، بعد مكة: السراك حماس؟ ، الصادر بتاريخ 28 شباط/فبراير 2007. بعد عمليّة وضع اليد، صرف الرئيس عبّاس حكومة رئيس الوزراء إسماعيل هنية وعين فياض بديلاً عنه لمزيدٍ من المعلومات المرجعية، مراجعة تقريري مجموعة الأزمات رقم 73، الحكم في فلسطين 1:

17 تموز/يوليو 2008. Crisis Group interview 2، مستشار للرئيس، رام الله، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008.

غزة تحت سيطرة حماس، الصادر بتاريخ 19 أذار/مارس 2008

و 79، الحكم في فلسطين 2: نموذج الضفة الغربية؟ ، الصادر بتاريخ

من فتح" أو "تكنوقراط من حماس"؟<sup>3</sup> ولقد سُجّلت على هذا المستوى أيضًا بوادر ليونة. وقال إسماعيل هنيّة، رئيس وزراء حكومة غزة، ما يلي:

"باستطاعة المصالحة أن تؤدي إلى حكومة وحدة وطنيّة أو إلى أي حكومة تنعم بتوافق وطني. ويخضع تشكيل الحكومة وبرنامج عملها للبحث والاتفاق ولقد سبق وفعلنا هذا عام 2006. ويستدعى هذا من الطرفين التحلى بالمرونة ونحن مستعدون لهذا".<sup>4</sup>

عقد انتخابات رئاسية وبرلمانية جديدة. سارعت فتح منذ البداية إلى إعلان موقفها القائل بعقد انتخابات تشريعيّة جديدة لكسر الجليد السياسي. ورأى مسؤولون في السلطة الفلسطينية في رام الله أنّ الديمقر اطيّات عادةً ما تنجح في التغلب على الجدار المسدود باستشارة الشعب ومن شأن غياب هذا الحكم في القانون الفلسطيني الأساسي ألاً يُشكل حجر عثرة في رأب الصدع<sup>. 5</sup> وردّاً. على الطرح، اعتبرت حماس أنّ هكذا انتخابات تفتقر إلى الأسس القانونيّة. فإذا عاندت فتح على عقد انتخابات مبكرة، وجب أن تكون هذه الانتخابات رئاسية: فالمجلس التشريعي يُنتخب بعد انتهاء ولاية الرئيس وتنتهي صلاحيّنه في كانون الثاني/يناير 2010 في حين تنتهي ولاية الرئيس في كانون الثاني/يناير 2009. هذا، وقابلت حماس بالرفض طرح حركة فتح عقد الانتخابات الرئاسيّة والبرلمانيّة بالتزامن في موعدٍ يُحدد بين هذين التاريخين واتخذت موقفاً مفاده أنّ اتخاذ موقفٍ بشأن التوافق على الانتخابات يجب أن يكون جزءاً من رزمة مصالحة شاملة. 7

وبينما احتدم شدّ الحبال، أصرّت حماس على أن تنتهي ولاية عبّاس بتاريخ 9 كانون الثاني/ يناير 2009 عملاً بالمادة 36 من القانون الأساسى المُعدّل لعام 2005. وعليه، بانتظار انتخابات جديدة، تُحال صلاحيّات الرئيس وواجباته إلى رئيس المجلس التشريعي (والعضو في حركة حماس) عبد العزيز دويك بحسب أحكام المادة 37 من القانون الأساسي لعام 2003<sup>8</sup> ويرد عبّاس ومستشاروه بالقول إنّ المادة 111 من قانون الانتخابات لعام 2005 ينص على عقد الانتخابات التشريعيّة والرئاسيّة تباعاً وعليه، تُمدد ولايته الانتخابيّة حتّى شهر كانون الثاني/يناير 9.2010 ولقد أدّت هذه الاعتبارات القانونيّة دوراً هامشيّاً في

Crisis Group interview 3 طولکرم، قائد من حماس، تشرین الأوّل/أكتوبر 2008.

Crisis Group interview ، مدينة غزّة، حزيران/يونيو 2008. Crisis Group interview 5 رفيق الحسيني، رئيس ديوان الرئاسة، رام الله، آذار/مارس 2008.

Crisis Group interview 6 مسؤول في حماس، دمشق، نيسان/أبريل 2008.

ك Crisis Group interview، قائد رفيع المستوى من حماس، مدينة  $^\prime$ غزّة، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008.

<sup>8</sup> دويك ومقرّه الضفة الغربيّة هو حالياً رهن الاعتقال في إسرائيل. حتّى أواسط شهر كانون الأوّل/ديسمبر أصر مسؤولون من حماس على ضرورة أن يُناط دوره بنائبه أحمد بحار ومقره غزة، ولكن يبدو أنّهم بدّلوا رأيهم ويميلون اليوم إلى رفض تكليف بحار بالمنصب.

وترى العديد من الأراء القانونية المستقلة أن موقف عباس غامض في ما يخص إعلاء قانون الانتخاب على القانوني الأساسي أي حكماً

الظرف السياسي الراهن. وبحسب ما جاء على لسان أحد مستشاري الرئيس عبّاس "ليس موعد كانون الثاني/يناير سيفًا مسلطًا على أعناقنا سيّما وأنّ هذه المسألة سياسيّة غير قانونيّة". 10 وحيث يعتري الخوف عبّاس وأعوانه من اندلاع أزمة حول الشرعيّة بعد موعد 9 كانون الثاني/يناير، قاموا بدعوة دول عربيّة وأجنبيّة إلى المصادقة على تمديد الولاية الرئاسية. 11

إعادة هيكلة صفوف قوى الأمن وجعلها محترفة. لخص سعيد الصيام وزير الداخليّة في حكومة غزّة التحدي بلغةٍ يصعب على مسؤولى فتح دحضها:

نحن بحاجة إلى أمور عدة: أوّلاً، إقامة معايير واضحة لعمل أجهزة الأمن؛ ثانياً، تجنيد أفراد صادقين ومؤهلين وكفوئين بمعزل عن انتمائهم السياسي؛ ثالثاً، تحديد اختصاص الأجهزة وصلاحيّاتها؛ رابعاً وضع آليّةٍ للإشراف على عمليّة إعادة الهيكلة؛ وخامساً، فرض عقوبات عن الانتهاكات والتدخلات السياسيّة. 12

ويتوافق الطرفان على أنه تجدر إعادة هيكلة قوى الأمن حول فروع ثلاثة هي الشرطة المدنية والاستخبارات وحماية الحدود الخارجية، وأنه على بعض قوّات فتح المخضرمة معاودة الخدمة في غزّة. 13 وبمعزل عن المبادئ العامة، تختلف رؤيا حماس وفتح حول الجهة التي ستقوم في نهاية الأمر بحمل السلاح وحول آلية السير بالإصلاح الأمني. وتشدد فتح على ضرورة حلّ جميع الميليشيات – بما في ذلك، كتائب عز الدين القسّام، الجناح العسكري لحركة حماس، وإرسال "قوّة عربية أو مصرية إلى غزّة، لتولي الشؤون الأمنية إلى حين الانتهاء من إعادة هيكلة الأجهزة الجديدة". 14 أمّا المسؤولين في حماس فيصرون على أنّ

الدستور الفلسطيني. للإطلاع على مجموعة من التحاليل، يُرجى مراجعة الموقع: http://www.palestinianbasiclaw.org/.

Crisis Group interview 10 مستشار للرئيس، رام الله، تشرين

الأوّل/أكتوبر 2008.

1 بحسب مراجع أمريكية وسورية، طلبت وزيرة الخارجية رايس من نظير ها السوري أن تساعد دمشق على تمديد ولاية الرئيس عبّاس والحدّ من اعتراضات حماس. Crisis Group interviews، مسؤولون أمريكيّون وسوريّون، واشنطن، دمشق، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>12</sup> Crisis Group interview <sup>12</sup> مدينة غزة، حزيران/يونيو 2008. مسؤولون أمنيون عن الضفة الغربيّة وقطاع غزّة، آذار/مارس وحزيران/يونيو 2008. وفي ما الغربيّة وقطاع غزّة، آذار/مارس وحزيران/يونيو 2008. وفي ما يخصّ ضمّ موظفي فتح في غزّة، اقترح مسؤول أمني من حماس أن يُسارَع إلى دمج بعض من قادة فتح وضباطها السابقين فور التوصل ألى اتفاق مصالحة. Crisis Group interview، مسؤول أمني، مدينة غزّة، حزيران/يونيو 2008. ولكنّ جميع قادة غزّة يوافقون على أنّ الدمج لا يعني العودة إلى الوضع السائد قبلاً: "لا يفكر أحد في عودة الأجهزة الأمنية الموتمرة بمجرمين كانوا يعملون في غزّة قبل حزيران/يونيو 2007. لِمَ نعود إلى حيث كنّا. وسيكون من المستحيل إعادة الهيكلة في وجود الزمرة الأمنيّة السابقة". Crisis Group مديران/يونيو 2008. حزيران/يونيو 2008.

<sup>14</sup> محمود عبّاس، قناة العربيّة، 28 آب/أغسطس 2008. Crisis ممود عبّاس، قناة العربيّة، 28 آب/أغسطس interviews مسؤولون في جهاز الأمن التابع للسلطة

أي عمليّة إعادة هيكلة يجب أن تسري سواسية على غزّة والضفة الغربيّة (مما يطرح علامات استفهام حول حلقات إعادة تدريب قوّات السلطة الفلسطينيّة التي تتم برعاية الولايات المتحدة)؛ وعلى أنّ كتائب القسام هي قوّات مقاومة لا يجب المساس بها؛ وعلى أنّه لا يجب نشر قوّات أجنبيّة، عربيّة كانت أم غير عربيّة ولم يوافقوا إلا على وجود مراقبين أو خبراء من دول عربيّة "المساعدة في عمليّة إعادة الهيكلة". 15

إصلاح منظمة التحرير الفلسطينية. عام 2005، وافقت الفصائل الثلاثة عشر في لقاء لها في القاهرة على توسيع عضوية منظمة التحرير الفلسطينية بحيث تضم جميع الأحزاب والحركات الفلسطينية. ولكن لم يتعدَّ الأمر هذا الحدّ. وأقسم بعض مستشاري عبّاس سراً أنه لن يكون لحماس مواطئ قدم في المنظمة في حين رأى الإسلاميون فيها الجائزة والغنيمة، "والحدود الخارجية التي تحمي القضية الفلسطينية؛ والضمانة بأنّ السلطة الفلسطينية والفصائل لن تحيد أبداً عن مسارها أو تستسلم". أو وادعى مسؤولون في فتح بأنّ عضوية منظمة التحرير الفلسطينية تقتضي الموافقة على ميثاقها وعلى الاتفاقات المبرمة سابقاً، وهو ما لن تقبل به حماس أبداً. وصاغ قائد في منظمة التحرير الفلسطينية الموقف على الشكل التالى:

ليست حماس بصدد النقدم بطلب لعضوية منظمة التحرير الفلسطينيّة بل تنوي الاستيلاء عليها. يريد قادة حماس الفوز بالشرعيّة التي تُكسبهم إيّاها المنظمة مع إفراغها من محتواها أو قيادتها. هم يطلبون الانضمام إلى منظمة يعترضون على أهدافها وسياستها وميثاقها. أمّا الحلّ الذي يرتأون لمعالجة هذه المعضلة فهو تفصيل منظمة التحرير الفلسطينيّة على قياسهم. وليس هذا انضماماً بل ضرباً من ضروب الاستيلاء العدائي! ولن نسلم للأمر. فإذا أرادت حماس الانضمام إلى المنظمة فليكن هذا بشراء بطاقة دخول أي بمبايعة ميثاق منظمة التحرير الفلسطينيّة وقراراتها. 17

أمّا حماس فليست تعتقد أنّ تشريع أبواب منظمة التحرير الفلسطينيّة للحركات الإسلاميّة – أي حركتها والجهاد الإسلامي يجب أن يكون مشروطاً بمبايعة ميثاقها أو الالتزامات التي قطعتها بما أنّه "بيد الشعب الفلسطيني أن يُقرر التوجّه الذي

الفلسطينيّة، رام الله، آذار/مارس – حزيران/يونيو، أكتوبر/تشرين الأوّل 2008.

<sup>15</sup> Crisis Group interviews أكثر في حماس، الضفة الغربيّة، حزير ان/يونيو 2008؛ قائد كتائب القسام، مدينة غزّة، آب/أغسطس حزير ان/يونيو 2008. في اعتراضه وجود قوّات أجنبيّة قال قائد في حماس "من سيحظى بحماية القوّات في حال وقوع صدام؟ المواطنون الفلسطينيّون أم الاحتلال؟" Crisis Group interview، طولكرم، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008.

<sup>16</sup> Crisis Group interviews أند رفيع المستوى من حركة حماس، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2008.

Crisis Group interview 17، قائد في منظمة التحرير الفلسطينيّة، رام الله، حزير ان/يونيو 2008.

يُعطيه للبرنامج. فلا يجب فرض الضوابط ولا القيود على البرنامج الذي يرتأيه الشعب". 18

وما شكل حجر عثرة على درب المفاوضات، التباين في وجهات النظر حول شروط الحوار المسبقة. فعندما حدد عبّاس موقفه بعد عملية الاستيلاء، أصر على عودة الوضع السائد قبلاً في غزة ويقصد بهذا إعادة الأمن والمنشآت الرئاسية إلى أصحابها وقيام حماس بتوجيه اعتذار رسمي وبتحمّل المسؤوليّة عن الجهات التي شاركت في أعمال العنف. أمّا الإسلاميّون فدعوا من جهتهم إلى عقد محادثات غير مشروطة. ومن الأمور اليتيمة التي توافق عليها الطرفان أن يُعالج أي اتفاق "الشؤون الفعليّة" 19 بتفاصيلها بدلاً من معالجتها بالتعابير العامة على غرار ما حصل في اتفاق القاهرة لعام 2005. أو في اتفاق مكّة لعام 2007. هذا ويُعتم الخلاف بشأن حلول محددة على المساعي المتنافسة لبسط السيطرة على الحركة الوطنيّة.

### ب. مصالحة أم حرب باستخدام وسائل أخرى

وحتى الساعة لم تثمر فورة المحاولات الداخلية والإقليمية الهادفة إلى التوصل إلى اتفاقية سوى فيض من تقاذف اتهامات وتخوين. وفي بادئ الأمر، عقد ممثلو فتح وحماس اتصالات غير رسمية، أجازتها القيادتان ولم تعاقب عليها، ولكنها لم تحرز الكثير. 21 وقامت منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية الأصغر حجماً بوضع مبادرات خاصة بها22 ولكن كما شرح عضو المجلس التشريعي والمرشح الرئاسي السابق مصطفى البرغوتي، واضع أحد المقترحات:

جميع هذه المبادرات تتشابه. والسؤال الفعلي يقضي بتحلي حماس وفتح بالإرادة السياسيّة لإنهاء التصدع الداخلي. ولا تكمن المشكلة في النصوص والأفكار والحلول بل في توافق الأطراف حول فكرة أن لا فصيلة فلسطينيّة تستطيع منفردة قيادة حركة التحرير الفلسطينيّة. 23

وبمعزل عن النوايا الحسنة، تفتقر وصفة الجهود إلى مكوّنات النجاح. وهي تتضمن القدرة على توفير الحوافز المالية وممارسة الضغط السياسي وضمان التطبيق. ورجح قائد في حماس صدى فكرة ترددت في فتح ومفادها أنّ جهود المجتمع المدني هذه "ليس إلا مضيعة للوقت". لسنا بحاجة إلى أفكار حول كيفيّة التوصل إلى اتفاق، بل نحن بحاجة إلى دولة تتمتع بالنفوذ السياسي الضروري لحماية هكذا اتفاق ودعمه". 24

وحاولت دول أيضاً أن تتدخل ولكن بلا جدوى فوقعت ضحية الخصومات في المنطقة مما زاد من التصدع. وفي الحالة تلو الأخرى، لاقت الأحزاب الفلسطينية المتخاصمة محاولات المصالحة بترحيب حتّم عليها الفشل. فلقد أدّى فشل اتفاق مكّة إلى إحباط محاولات المصالحة اللاحقة ولا سيّما تلك التي ترعاها المملكة العربية السعوديّة. <sup>25</sup> وشعرت الرياض أنّها خاضت المخاطر وحشدت الجهود للاتفاق متصدية لامتعاض الولايات المتحدة وقوبلت بخيانة الطرفين. وحيث أحبطت الحكومة السعوديّة بموقف الأحزاب الفلسطينية <sup>26</sup> غير الجديرة بالثقة، رفضت إعادة إحياء المبادرة أو حتّى التدخل. <sup>27</sup> كما لم يُبادر الوسطاء التقليديّون مثل مصر إلى أخذ المبادرة في أوّل الأمر وصممت على عدم الإقدام على خطوةٍ من شأنها تدعيم موقف حماس وبالتالى معارضتها الإسلاميّة المحليّة.

وفي شهر آذار/مارس 2008، عرض الرئيس اليمني علي عبد الله صالح أن يتوسّط للحلّ. وتضمنت مبادرته إعادة الوضع السائد سابقاً في غزة واستئناف الحوار الوطني وتشكيل حكومة وحدة وطنيّة وإنشاء لجنة من جامعة الدول العربيّة للحرص على تطبيق هذه الخطوات. ووافق كلا الطرفين على دعوته إلى عقد محادثات ولكن فصلّ كلّ المبادرة على قياسه. فبالنسبة إلى عبّاس المعارض قيام حكومة وحدة وطنيّة، تتمحور أولى أحكام المبادرة اليمنيّة حول "العودة بالوضع في غزّة إلى الظرف السائد قبل تاريخ 13 حزيران/يونيو 2007". واعتبر الأمر معادلاً للشرط تاريخ 13 حزيران/يونيو 2007".

<sup>&</sup>lt;sup>24</sup> Crisis Group interview مدينة غزة، حزير ان/يونيو 2008. \* مراجعة تقريري مجموعة الأزمات حول منطقة الشرق الأوسط رقم 68، بعد غزة، الصادر بتاريخ 2 آب/أغسطس 2007، ورقم 62، بعد مكة إشراك حماس، الصادر بتاريخ 28 شباط/فيراير 2007.

<sup>&</sup>lt;sup>26</sup> Crisis Group interview، مسؤول عربي، القاهرة، كانون الثاني/يناير 2008.

Crisis Group interview <sup>27</sup>، مسؤول سعودي، كانون الأوّل/ديسمبر 2007.

<sup>28</sup> عادت المفاوضات الإسرائيليّة الفلسطينيّة لتنطلق رسميّا في أنابوليس، ماريلاند، في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2007 بهدف التوصل إلى اتفاق الوضع النهائي بحلول نهاية العام 2008. مراجعة ورقة مجموعة الأزمات الموجزة حول الشرق الأوسط رقم 22، الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني: أنابولس وما بعده، الصادرة بتاريخ 20 تشرين الثاني/نوفمبر 2007. "لا يُمكن الضغط على عبّاس للمصالحة مع حماس طالما أنّ المفاوضات مع أولمرت مستمرة. وستبوء هذه المفاوضات بالفشل لأنّ إسرائيل ليست مستعدةً لإجراء التناز لات الضروريّة. لا نريد أن تستخدم إسرائيل المفاوضات بين عبّاس وحماس ذريعة لتنأى بنفسها عن الفشل". Crisis Group عبّاس وحماس ذريعة لتنأى بنفسها عن الفشل". Crisis Group ... 2008

Crisis Group interview 18 قائد رفيع المستوى من حركة حماس، مدينة غزّة، حزير ان/يونيو 2008.

Crisis Group interviews <sup>19</sup> قادة من حماس وفتح، القاهرة، شباط/فبراير 2008؛ رام الله، آذار/مارس 2008 ومدينة غزة، حزيران/يونيو 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>20</sup> مراجعة تقرير مجموعة الأزمات، بعد مكة، المرجع السبق ذكره Crisis Group interviews القاهرة، وكانون الأوّل/ديسمبر 2007؛ مدينة غزّة، حزير ان/يونيو 2008؛ ورام الله، آذار/مارس وحزير ان/يونيو 2008. وتفحصت هذه القنوات خيارات المصالحة وأوضحت موجباتها لكنها لم تتوصيل أبداً الله، وضع قنه ات حوار سرية

إلى وضع قنوات حوار سرية. 22 وهي تتضمن الجبهة الديمقر اطيّة لتحرير فلسطين والجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين والجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين والمبتدى الفلسطيني والمبادرة الفلسطينية ومبادرة المجلس المركزي القطاع الخاص ونداء لأجل فلسطين ومبادرة المجلس المركزي والحملة الشعبيّة للمصالحة الوطنيّة. مراجعة صحيفة الحياة: ثماني فصائل وشخصيّات عامة تقترح مبادرة سياسيّة لاسترجاع الوحدة، 11 نيسان/أبريل 2008.

<sup>23</sup> مصطفى البر غوتى، مدينة غزّة، حزير ان/يونيو 2008.

المسبق الذي فرضه. وأعربت حماس عن استعدادها مناقشة المبادرة ولكنها لم تصادق عليها كليّاً بل اختارت تفسير شروطها على أنها لائحة بالمواد المطروحة للبحث أكثر منه مقتضيات حاسمة وجازمة للتوصل إلى اتفاق. 29 والتقى الوفدان في آذار/مارس 2008 وتوصّلا إلى ما يُعرف بإعلان صنعاء:

نوافق نحن ممثلو حركتي فتح وحماس على المبادرة اليمنية كإطار لاستئناف الحوار بين الحركتين للعودة بالأوضاع الفلسطينية إلى ماكانت عليه قبل أحداث غزه.

وقع على الإعلان عزام الأحمد رئيس وفد فتح والكتلة البرلمانية من دون تقويض صريح من الرئيس عبّاس فكانت النتيجة امتعاضاً في رام الله. ونص البيان على استئناف الحوار بين الحركتين للعودة إلى الوضع السائد قبل أحداث غزه على أن يشمل مصطلح "العودة"، "الوضع الفلسطيني" ككل. وقد يعني هذا إلغاء ما وقع في الضفة الغربية أيضاً أي سلسلة التدابير التي اتخذها فيّاض. 30 وسارع مستشارو عبّاس إلى إصدار توضيح فوأدوا إعلان صنعاء. وبئت قناة الجزيرة مباشرة على الهواء التناحرات الواقعة في صفوف فتح.

وبعدما نجحت دولة قطر في التوسّط لإنهاء الأزمة السياسيّة التي دامت ثمانية عشر شهراً في لبنان، دعا الكثيرون بمن فيهم الرئيس اليمني وممثلون عن حماس وفتح الدوحة لمحاولة رأب الصدع الفلسطيني. <sup>31</sup> وعندما أبدت قطر اهتمامها للأمر، بادرت مصر إلى الإعلان عن نيّتها استضافة حوار وطني فلسطيني وقد أغاظها تنامي النفوذ الدبلوماسي لدولة خليجيّة صغيرة الحجم. <sup>32</sup> ومرّت ثلاثة أشهر قبل أن تثرجم الجهود عملاً على أرض الواقع.

<sup>29</sup> قال أحد مستشاري عبّاس بأنّه كان قد قبل الدعوة، رغم رفضه مبدأ حكومة وحدة وطنيّة، حيث رأى فيها شرطاً مسبقاً لتنازل حماس عن السيطرة على غزّة وهو تنازل شكّ فيه. Crisis Group interview، شباط/فبراير 2008. كما وافقت حماس على مضض على مبادرة اليمن رغم دعوتها للعودة إلى الوضع السائد قبل أحداث غزّة ولعقد انتخابات مبكرة. وأتت الموافقة بعد أن أوضحت حماس أنّها ترى في هذه البنود نقاطاً مطروحة للبحث بدلاً من مجرّد شروط مسبقة للتفاوض. وبحسب سامي أبو زهري متحدث باسم حماس: "نوافق على مناقشة جميع سامي أبو زهري متحدث باسم حماس: "نوافق على مناقشة جميع المنافط الواردة في المبادرة اليمنيّة علنا على طاولة الحوار... لم تأت المبادرة اليمنيّة على ذكر الشروط المسبقة ولكنّها أوردت بنوداً أو نقاطاً خاصة بالحوار ونحن على استعداد لمناقشتها". وكالة رويترز، 18 أذار/مارس 2008.

<sup>30</sup> شرح عزام الأحمد أنه رغم اتصاله المتكرر بعباس في أثناء المفاوضات، لم يتمكن من الاتصال به عندما حانت ساعة التوقيع على النص النهائي. "حيث أن الإعلان كان ضمن حدود صلاحياتي، بحسب ما تم التناقش بشأنه مع عباس، مضيت ووقعت عليه". Crisis ... ما تم التناقش بشأنه مع عباس، مضيت الموقعت عليه". Group interview مستشار للرئيس هذه الرواية مشيرا إلى أن الأحمد تخطى صلاحياته. مستشار للرئيس هذه الرواية مشيرا إلى أن الأحمد تخطى صلاحياته. Crisis Group interview، رام الله، حزيران/يونيو 2008.

31 مراجعة وكَالـة رويترز، 25 أيار/مايو 2008؛ و Crisis Group interviews؛ 2008. مسؤولون في السلطة الفلسطينيّة، رام الله، حزيران/يونيو 2008. Crisis Group interview 32، مسؤول مـصري، القـاهرة،

حزيران/يونيو 2008.

وفي الأثناء، ومع اقتراب موعد الذكرى الأولى لعمليّة وضع اليد، أطلق عبّاس مبادرةً خاصةً به بتاريخ 4 حزيران/يونيو 2008 داعيًا إلى عقد حوار وطني لتطبيق "المبادرة اليمنيّة" و"إنهاء التشرذم الداخلي". 3 وملوّحًا بالمرونة، أسقط ذكر الشروط المسبقة وقال إنّ المبادرة اليمنيّة يجب أن تُشكّل قاعدة المحادثات. ولكن مع أنّ مستشاري الرئيس وصفوا الدعوة علنًا على أنّها بادرة للمساعدة على إنهاء حصار غزّة، استشفّ من تعليقاتهم في المجالس الخاصة أنّ المبادرة لم تكن أبداً بادرة كرم. وشرح أحد قادة فتح في رام الله المسألة قائلاً:

رأينا أنّ الحديث عن "الشروط المسبقة" يُسيء إلينا في العلن فنظهر بمظهر من لا يريد المصالحة. لم نرد أن يأخذ شعبنا والعرب عموماً علينا مأخذ الإعاقة. لذا أسقطنا الحديث عن "الاعتذار" و"عن قلب الوضع" و"إخلاء المقرّ العام" واستبدلناه بالحديث عن "أسس" التعاون.34

وشرح مسؤول آخر في السلطة الفلسطينية دافع عبّاس قائلاً "سنقدم لحماس عرضاً أكثر كرماً من ذي قبل وهو عرض ستقابله بالرفض لأنها لا تريد الوحدة. وبهذا سنستطيع أن نلومها عن الفشل وأن نأخذ مواقف أكثر حزماً حيالها في الضفة الغربيّة. فلا يسعنا ببساطة أن نجلس وننتظر ".35

أمّا المحاولة الأخيرة والتي تبدو للوهلة الأولى الأكثر جدية فمن نسيج مصر التي استأنفت جهود الوساطة بعد مبادرة عبّاس. وهدفت مصر علنا إلى إعداد ورقة ترفعها إلى جميع الفصائل وتصادق عليها جامعة الدول العربيّة؛ أمّا سرّاً فلقد أوضح المسؤولون بأنّهم يتوقعون من حماس رفض المبادرة فأتهم بالتالي وحدها وتتحمّل مسؤوليّة الفشل. 36 ومذ ذاك، وحيث خشيت حماس أن يعمد عبّاس والقاهرة إلى حشرها، عمدت إلى تحقيق ثلاثة أهداف متتابعة: تحسين المستند المصري قدر المستطاع 36،

<sup>&</sup>lt;sup>33</sup> خطاب عبّاس، 4 حزير ان/يونيو 2008.

Crisis Group interview <sup>34</sup>، قائد من فتح، رام الله، أيلول/سبتمبر 2008

رام السلطة الفلسطينيّة، رام الشه، حزيران/يونيو Crisis Group interview عبّاس الشه، حزيران/يونيو 2008. من جهتها رأت حماس في إعلان عبّاس اعترافا بأنّ محادثات السلام مع إسرائيل تتداعى وأنّ فتح تحتاج لأن تبدي اهتمامها في الوحدة. وقال قائد حماس في غزّة ما يلي "لسنا نريد أن نبيّن هذه الفرصة من فرص المصالحة الوطنيّة على أنّها دليل على فشل عبّاس أو ضعفه بعد أن أثبتت مراهناته فشلها. يُمكننا أن نقول مهاترة "ألم نقل لك" ولكننا لن نفعل. عبّاس مفلس وليس لديه ما يُقدمه ولكننا سنكون مسؤولين ولسوف تعمل على حماية وحدة الأراضي الفلسطينيّة. ولكن إذا صعبوا الأمر كثيرا فلا حاجة بنا إذا إلى المصالحة معهم". واكن إذا صعبوا الأمر كثيرا فلا حاجة بنا إذا إلى المصالحة حزيران/يونيو 2008. ورجّح بعض مسؤولي فتح صدى الشعور نفسه وعي أخيراً أن لا تسوية سياسيّة مع إسرائيل"، Crisis Group interview وعي أخيراً أن لا تسوية سياسيّة مع إسرائيل"، Crisis Group ، مدينة غزّة، 6 حزيران/يونيو 2008.

مسؤولون أمريكيّون وعـرب، Crisis Group interview 36 نيويورك، أيلول/سبتمبر – تشرين الأوّل/أكتوبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>37</sup> نصل المستند على قيام حكومة توافق وطني ترفع الحصار وتعمل على إصلاح الأمن من منطلق "المبادئ المهنيّة والوطنيّة"، وعلى عقد انتخابات رئاسيّة وتشريعيّة متزامنة وعلى "تطوير وإعادة إحياء

الحرص على عدم عزل الإسلاميين في الساحة الفلسطينية، والحيلولة دون توحد العرب في موقف توافقي يوجه أصابع الإتهام نحو الإسلاميين.

وفي ما يخص الهدف الأول، أثارت حماس سلسلة اعتراضات ولم تنل سوى رضى جزئي. 38 أمّا بالنسبة للهدف الثاني، فلقد اصطفت فصائل عدّة بما في ذلك الجهاد الإسلامي وأعضاء من الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين – حول بعض مأخذ حماس ولا سيّما ما يعني منها أن يتم التباحث في المستند المصري بين الفلسطينيين فلا يُفرض من الخارج. أمّا بالنسبة إلى الهدف الثالث، فلقد أبدت حماس ثقتها بأنّ عدداً من الدول العربيّة بما في ذلك قطر، وسوريا واليمن والسودان والجزائر سوف تعترض على وضع الإسلاميين في قفص الاتهام. 39

بتاريخ 8 تشرين الثاني/نوفمبر، أعلنت حماس أنها ستقاطع الاجتماع الذي ينعقد برعاية مصريّة والذي يهدف إلى الموافقة على الخطة. وذكرت الحركة بحملة السلطة الفلسطينيّة لاعتقال الناشطين الإسلاميين في الضفة الغربيّة محتجة بإدعاء عبّاس عدم وجود سجناء سياسيين. 40 ولا شكّ في أنّ الشكوى كانت حقيقيّة. 41 فلقد تصعّدت حملة الاعتقالات في الأسابيع السابقة

منظمة التحرير الفلسطينية". كما نص المستند على أن المقاومة شرعية وينص عليها "ااتفاق وطني". ولحظ المستند تمديد فترة وقف إطلاق النار بعد انتهاء مدّتها (19 كانون الأول/ديسمبر). ولا بدّ من العمل على حلول مفصلة لكلّ من المواضيع في اللجان بعد أن تقوم لجنة مشتركة تضمّ الفصائل بالمصادقة على المستند. يرد النص كاملاً في الملحق. <sup>38</sup> أبدت حماس معارضة شديدة لما ورد في المستند من حكم بشأن عقد انتخابات رئاسية وتشريعية متزامنة. (ديوان/يونيو 2008. كما رفضت حماس ضمّ المواضيع المتصلة "بالنزاع مع الاحتلال" (أي المقاومة ووقف إطلاق النار) في مستند المصالحة؛ وأصرت على أن تتم التغيّرات على الأرض بالتزامن بين الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وشددت على معالجة

في ملفات مجموعة الأزمات. 39 Crisis Group interview قائد من حماس، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008

جميع المواضيع العالقة رزمة واحدةً، وعلى الموافقة عليها بالكامل قبل

المصادقة النهائيّة. "مذكرة بشأن الحوار الفلسطيني الذي كان يُفترض

أن يُعقد في القاهرة بين 9-11 تشرين الثاني/نوفمبر 2008"، موجود

<sup>40</sup> نسخة عن الخطاب حصلت عليها مجموعة الأزمات. وفي كلمة القاها في ذكرى وفاة ياسر عرفات، قال عبّاس إنّ السلطة الفلسطينيّة لا تحتجز "غير المتهمين بحيازة الأسلحة وبجني الأموال بصورة غير مشروعة". وأعربت حماس عن المهانة التي لحقت بها عمّا يُستشف من كونهم "جميعاً مجرمين". Crisis Group interview، قائد من حماس، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وشعرت حماس بالمهانة لكون السلطة الفلسطينيّة قامت يوم إلقاء عبّاس كلمته باعتقال رفعت ناصف، متحدث باسم حماس في الضفة الغربيّة وكان قد أطلق سراحه مؤخراً من سجن إسرائيلي. Crisis Group interview، ممثل عن حماس في المجلس التشريعي الفلسطيني، الضفة الغربيّة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>41</sup> بتاريخ 14 تشرين الثاني/نوفمبر 2008، قامت مجموعة من منظمات حقوق الإنسان بوضع إعلانات في الصحف الفلسطينيّة من القدس والحياة والجديدة والأيام مفادها ما يلي: السلطة الوطنيّة وحكومة تصريف الأعمال والحكومة المقالة تنفي وجود سجناء سياسيين ولكنّ

لتاريخ 10 تشرين الثاني/نوفمبر المنشود. 42 وأعلن إسلامي من الضفة الغربيّة بأنّ الحوار في مثل هذه الظروف مستحيل: "تحوّل السلطة الفلسطينيّة أكثر أجنحة حماس اعتدالا [الجناح في الصفة الغربيّة] إلى أكثرها تطرّفاً" 43. ولكن يُشتم من التهمة أنّها ذريعة مناسبة مُعدّة لإيجاد مخرج من المحادثات. وفي الأيام التي تلت، أوردت حماس اتهامات أخرى، بما في ذلك وجوب معاملة عبّاس معاملة الرئيس لا العضو المشترك في المحادثات مضيفة أنّ أعضاء حماس في الضفة الغربيّة لا يستطيعون الحضور. 44 وكما سيرد أدناه، كانت حسابات حماس بسيطة: تتكبّد خسارة أقل بمقاطعة المحادثات منه بمواجهة ضغوطات تذعن إبّانها لشروط غير مرضيّة ما أن تجلس إلى طاولة المفاوضات.

وأتى ردّ الرئيس عبّاس وأعوانه سريعاً. وحيث سعى المجلس المركزي في منظمة التحرير الفلسطينيّة لإبعاد شبح أزمة الشرعيّة الذي يُلوَّح به مع اقتراب موعد 9 كانون الثاني/يناير، بادر يوم 23 تشرين الثاني/نوفمبر إلى انتخاب الرئيس عبّاس رئيساً لفلسطين وهو منصب ظلّ خاوياً منذ وفاة عرفات عوقت وتمكن عبّاس بالتالي من تعزيز مصداقيّته "الرئاسيّة" فلا يعود يستمدّها من السلطة الفلسطينيّة وحسب وإنما أيضاً من الهيئة الفلسطينيّة العليا أي منظمة التحرير الفلسطينيّة. ولم تدر مصر أذناً صمّاء لازدراء حماس فاعتقلت منها أفراداً وأسراً قطعوا معبر رفح إبّان رفض الحركة حضور اجتماع القاهرة. 46

بتاريخ 26 تشرين الثاني/نوفمبر 2006، انعقدت جامعة الدول العربيّة وقيّمت وضع العلاقات الفلسطينيّة الداخليّة. وأتت الحصيلة مكيال حصنة لكلّ طرف، مع الاحتفاظ بحصنّة الأسد لعبّاس. وما أثلج صدر الرئيس أنّ الوزراء طلبوا إليه متابعة مهامه إلى حين عقد انتخابات برلمانيّة ورئاسيّة متزامنة. 47 وشكّل هذا صفعة

منظمات حقوق الإنسان تملك معلومات ووثائق تؤكد كذب هذه التصريحات الرسمية".

<sup>&</sup>lt;sup>42</sup> Crisis Group interview ناشطون في حقل حقوق الإنسان، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر 2008. لمزيدٍ من التفاصيل بشأن الحملة مراجعة القسم 3. أ. 2 أدناه.

Crisis Group interview <sup>43</sup> وزير سابق، الضفة الغربيّة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>44</sup> رفضت إسرائيل السماح لسياسيين فلسطينيين في الضفة الغربيّة من فصائل عدّة الانضمام إلى وفودها القادمة إلى القاهرة بما في ذلك أفراد من حماس، والجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطيّة لتحرير فلسطين والجهاد الإسلامي.

<sup>&</sup>lt;sup>45</sup> بعد التصويت، اعترف لبنان بدولة فلسطين و هو ما لم يفعله عندما أعلن ياسر عرفات الاستقلال عام 1988. وتفسّر رام الله الأمر على أنه دليل قوّة إقليميّة. Crisis Group interview، مستشار للرئيس، رام الله، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>46</sup> زعم مسؤول في حماس أن مصر تحتجز ثلاثة عشر من قادة حماس وأفراد عائلتهم بما في ذلك رئيس كتلة حماس في مقاطعة غزة الشمالية وأخ مشير المصري وهو مشرع وناطق باسم حماس، ناهيك عن فتاة في الرابعة من العمر. وأطلق سراحهم جميعاً وبسرعة ما عدا ثلاثة رجال دام احتجازهم عدة أسابيع وزعموا أنهم تعرضوا للضرب ولسوء المعاملة. Crisis Group interview، قائد في حماس، مدينة غزة، كانون الأول/ديسمبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>47</sup> Crisis Group interview، رام الله، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

لموقف حماس المُشكك في شرعية عبّاس سيّما وانه حظي بمصادقة الجميع بمن فيهم سوري. وقال مسؤول سوري ما يلي:

نرى أنه من المهم ألا ندع الفراغ يتسرّب إلى صفوف السلطة الفلسطينيّة. ولقد اختلفنا مع حماس في هذا الصدد. ولكننا لا نمثّل حماس، لا بل نسعى إلى الدفاع عن نظرتنا إلى المصالح الفلسطينيّة. إذا تمهل قادة حماس لحظة للتفكير رأوا مصلحتهم في هذا ولكنّهم لسوء الحظّ يعملون تحت ضغط الاعتداءات اليوميّة التي يواجهونها. 48

وفي الوقت نفسه، وفي بادرة تجاه حماس، امتنعت جامعة الدول العربية عن تحميل الحركة مسؤولية فشل الحوار. 49 ورحبت الحركة بالأمر بينما رفضت مصادقة جامعة الدول العربية على استمرار ولاية عبّاس على اعتبار أنّها لا تتمتع "بالحقّ في التمديد لولاية أبو مازن ولا يحقّ لأي دولة أو مجموعة دول التمديد له إذا تعارض هذا مع القانون الأساسي". 50

وبعد فشل محادثات القاهرة، أعلن عبّاس أنّه إذا لم يبدأ العمل على الحوار الوطني بنهاية العام 2008، فقد تتم الدعوة إلى عقد انتخابات تشريعيّة ورئاسيّة متزامنة مطلع العام 2009. وبعد أن صدّت حماس الفكرة بحزم، هدد بعض المستشارين بالمضي بالانتخابات في الضفة الغربيّة وحدها حيث سيُقابلون بلا شك بمقاطعة حماس. <sup>13</sup> وبينما لقيت فكرة عقد انتخابات في الضفة الغربيّة وحدها تأييد البعض من أنصار فتح<sup>52</sup>، إلا أنّها قوبلت برفض الآخرين.

Crisis Group interview  $^{48}$  دمشق، كانون «Crisis Group interview الأوّل/ديسمبر، 2008.

<sup>49</sup>وتعليقاً على هذا الموضوع، قال مسؤول سوري: "نرفض فكرة حوار مصمم بطريقة ثلقى فيها ملامة الفشل على حماس." المرجع نفسه حوار مصمم بطريقة ثلقى فيها ملامة الفشل على حماس." المرجع نفسه مدينة غزة، 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. كما تذمر من اعتراف جامعة الدول العربية بشرعية منظمة التحرير الفلسطينية وبالمجلس التشريعي الفلسطيني من دون الاعتراف بشرعية الحكومة في غزة. <sup>50</sup>وكالة رويترز، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. لا تتضمن خطة فتح الانتخابية البلديات والمجالس المحلية. ولكنّ السلطة الفلسطينية تنوي على ما يُزعم استبدال وحدات الحكومة الوطنية في الضقة الغربية التي تسيطر عليها حماس إثر انقضاء ولايتها الانتخابية، بلجان تعيّنها السلطة الفلسطينية، رام الله، كانون الأول/ديسمبر 2008.

<sup>52</sup> بتاريخ 24 تشرين الثاني/نوفمبر قال مستشار الرئيس نمر حماد ما يلي: "إذا تعمدت حماس قسراً إعاقة التحضير لانتخابات غزة فهذا لن يحول دون عقدها. سوف نعقد الانتخابات في الضفة الغربيّة وستكون حماس مسؤولة عن عدم عقد الانتخابات في غزة". وكالة رويترز، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وليس حماد وحيداً في مناصرته هذه الفكرة فلقد أيّد آخرون في فتح عقد انتخابات في الضفة الغربيّة وحدها كوسيلة السحب بساط الشرعيّة من تحت أرجل حماس. وبحسب قائد محليّ: "قامت حماس في خلال السنوات الثلاث المنصرمة بابتزاز عبّس والشعب الفلسطيني عبر إدعاء الشرعية ومقاطعة الانتخابات كسبيل للخروج من المأزق. واليوم تجد الضفة الغربيّة وغزّة نفسها في كسبيل للخروج من المأزق. واليوم تجد الضفة الغربيّة وغزّة نفسها في نقيّة مستخدمة في الطبّ العربي التقايدي وتقضي بوسم اللحم باستخدام الحديد الساخن] لوقف هذا الابتزاز. ويحدو بهم كلّ طرح مساومة إلى الحديد الساخن] لوقف هذا الابتزاز. ويحدو بهم كلّ طرح مساومة إلى

وهذا يُبيّن جديّتنا ويُكسبنا الدعم الشعبي حيث نبدي استعدادنا لعقد انتخابات. ولكن لا يُمكن عقد انتخابات إذا أبدت حماس رفضها. ولهذا السبب لا يُمكن عقد انتخابات إذا كان الجهاد الإسلامي معارضاً، لأنه يكفي إلقاء بعض قنابل المولوتوف لتعطيلها. 53

#### III. من يخاف المصالحة؟

### أ. من منظور الرئاسة

#### تحسين الضفة الغربية؛ محادثات السلام مع إسرائيل؛ تعزيز الشرعية الدولية

لعلّ مقاربة الرئيس عبّاس حيال المصالحة قد اختلفت في خلال السنة ونصف السنة المنصرمة شكلاً لا مضموناً. فمنذ البداية كان مستشاروه على قناعة بضرورة المماطلة وتحقيق النجاح على جبهات عدّة – مثلاً المفاوضات مع إسرائيل، تحسين الظروف في الضفّة الغربيّة و/أو تعزيز شرعيّته الدوليّة – قبل إشراك حماس. وبحسب أحدهم، "لن تُعطي حماس شيئاً لعبّاس في الظروف الراهنة. يحتاج الرئيس إلى تدعيم موقفه من خلال الحقيق إنجاز ملموس يهدف إلى ضمان حوار مثمر". 54 ماس إلى الموقف من خلال فالتفاوض من موقع دونيّ ليس من شأنه إلا أن "يُحسّن موقف حماس إقليميّا ودوليّا". 55 ومن هنا يستمدّ عبّاس موقعه القائل بضرورة أن تسبق المحادثات العودة في غزّة إلى الوضع السابق. ومع مرور الوقت، بدأ التمسك بالشروط المسبقة يُكلفه الدعم العام. وعليه أعيد تأطير مطالبه على أنّها أهداف تفاوضيّة أكثر منه شروط مسبقة.

وقوبلت الإستراتيجيّة بنجاح مخلوط. وكما هو واضح، لا زال عبّاس ينعم بدعم إقليمي ودولي قويّ؛ لا بل إنّ بعض الفلسطينيين يرون في الدعم الخارجي عملته الأساسيّة. ورأى أحد المحللين أنّ الحكومة "حكومة توافق دولي لا توافق وطني". <sup>56</sup> وتبقى مصر حليف عبّاس الأبرز، فبعد مقاطعة حماس المحادثات في القاهرة، وجّه وزير الخارجيّة جهاراً أصابع الاتهام صوب الإسلاميين "وغياب حماسهم للمصالحة". <sup>55</sup> أمّا المملكة العربيّة السعوديّة السعوديّة

رفع سقف المطالب". واعترف أنّ الانتخابات في الضفة الغربيّة وحدها، في ظلّ مقاطعة المعارضة ووجود العديد من أعضائها وراء القضبان، لن تحصد التوافق ولا المصداقيّة. "ولكنّها ستقوّض إدعاء حماس الشرعيّة وتقوّي يد أبو مازن في الحوار المستقبلي". Crisis Group ... فالمدون الشاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>53</sup>، مستشار للرئيس، رام الله، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>54</sup>، مستشار للرئيس، رام الله، آذار/مارس 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>55</sup> Crisis Group interviews مستشارون للرئيس، القاهرة، 16 كانون الثاني/يناير 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>56</sup> Crisis Group interview، محلل فلسطيني، رام الله، آب/أغسطس 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>57</sup> اقتباس عن صحيفة جوردان تايمز، 5 كانون الأول/ديسمبر 2008. وذهب رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان المصري إلى أبعد

التي كان يُنظر إليها على أنها الوسيط المحايد، فقد مالت هي الأخرى لصالحه. 58 حتى سوريا التي تؤدي دور المضيف لقيادة حماس المنفية والتي تجمعها بفتح علاقات أقل ما يُقال فيها أنها متقلبة، انضمت إلى قافلة المتوافقين، أقله في ما يخص موضوع رئاسة عبّاس. 59

وأعرب المسؤولون في السلطة الفلسطينيّة عن ثقتهم بأنّ الضغط الذي تمارسه دول عربيّة على حماس سوف يُثمر نتائج. وقال مستشار رئاسي ما يلي: "إذا أرادت المملكة العربيّة السعوديّة ومصر والأردن وسوريا وقطر شيئا، فيستجيب القدر". 60 ومن بين أشكال الضغط الممارسة، إمكانيّة أن تمنع مصر مسؤولي حماس من مغادرة غزة 61 لا بلّ اتخاذ تدابير صارمة على الأنفاق

بالقول إنّ "مصر لن تقبل بالتأسيس لإمارة إسلاميّة على طول الحدود السّر قيّة". اقتباس ورد في صحيفة القدس العربي، 3 كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

<sup>58</sup> أمّا المثل الأبرز الأقرب عهداً من منظور حماس فتمثّل بقيـام المملكة العربيّة السعوديّة بالتنسيق مع السلطة الفلسطينيّة بدلاً من حماس لمنح تأشيرة دخول لسكان غزّة الراغبين في أداء فريضة الحجّ إلى مكّة المكرمة. وعليه، وزّعت المملكة الحصص على الأشخاص الذين اختـار هم مكتب الرئيس بـدلاً مـن سكان غزّة الـذي تـسجلوا قبـل سـتّة أشهر. وحظرت حماس على من اختارتهم الرئاسة الخروج وبحسب تقارير لم تستطع مجموعة الأزمات التأكد منها، عمدت إلى ضرب حوالي 150 حاج حاول أن يسلك سبيله إلى معبر رفح متحدياً بالتالي حظر الحكومة. Crisis Group interviews، عاملو سياحة وحجاج مستقبليّون، مدينة غزّة وخان يونس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. قال مسؤول رفيع المستوى من حماس "يمارس عبّاس والمملكة العربيّة السعوديّة ضعوطاً دينيّة على حركتنا. ولن نسمح بهذا". Crisis Group interview، غزّة، 3 كانون الأوّل/ديسمبر 2008. علّق مسؤولون إسرائيليّون بالقول إنّهم التمسوا تغيّراً فعليّاً في المواقف العربيّة. "تؤتي عزلة حماس الإقليمية نتيجة للمرّة الأولى. ليس من مصلحة مصر أن تمنح الجنيهات المصريّة لغزّة بقدر ما ليس من مصلحة إسرائيل منح الشيكلات ولم تمنح المملكة العربية السعودية حماس تأشيرات الحجّ المنشودة". Crisis Group interview، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

مسل عندما دعم المسؤولون السوريّون عبّاس وانتقدوا وضع حماس يدها على غزّة ["أبدينا علناً معارضتنا الانقلاب في غزّة، ولكن لا فائدة من التذمر من هذا الموضوع للأبد"، Crisis Group interview مسؤول سوري، دمشق، كانون الأوّل/ديسمبر 2008، شككوا في انتخابه "رئيساً لدولة فلسطين"، وسألوا "أين هي هذه الدولة؟ هل الوقت مناسب لخوض مثل هذه التجاذبات؟" المرجع نفسه. وفي خلال قمّة جامعة الدول العربيّة المنعقدة في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2008، وبّخ وزير الخارجيّة وليد المعلم كبير المفاوضين الفلسطينيين صائب عريقات الذي وصف حماس بأنها جزء من المعارضة فقال له: "كيف عساك تقول هذا؟ هي تتمتع بالغالبيّة البرلمانيّة" المرجع نفسه. 20 "كيف عساك تقول هذا؟ هي تتمتع بالغالبيّة البرلمانيّة" المرجع نفسه.

تشرين الثاني/نوفمبر 2008. أقبل أيام من اجتماع العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر في القاهرة، وفضت مصر السماح لوفد من برلمانيي حماس، بمن فيهم نائب رئيس المناسبة المناسبة أن المناسبة المناسبة المناسبة أن المناسبة المناسبة أن المناسبة المناسبة المناسبة أن المناسبة المناس

رفضت مصر السماح لوفد من برلمانيي حماس، بمن فيهم نائب رئيس المجلس التشريعي أحمد بحار مغادرة رفح. وكان الوفد يأمل المغادرة باكراً كيلا يلقى مصير مشير المصري وسامي أبو زهري اللذين كان يُقترض أن يُشكلا جزءاً من وفد حماس إلى اجتماع 8 تشرين الأول/أكتوبر ولكن أعيدا من الحدود. Crisis Group interview، مدينة غزة، تشرين الأول/أكتوبر 2008.

بين أراضيها وغزّة. <sup>62</sup> وباستطاعة الأمم العربيّة التأثير في الساحة المحليّة على سبيل المثال عبر رفض الاعتراف برئيس تعيّنه حماس بعد انتهاء ولاية عبّاس بتاريخ 9 كانون الثاني/يناير 039.63

في الضقة الغربيّة، تابعت السلطة الفلسطينيّة الجهود لتحسين معيشة المواطنين العاديين. وشددت أكثر ما شددت على الأمن. وبعد سنوات من الفوضي، عاد الأمن ليستتب وعاد القانون ليُطبّق بدرجة متنامية ولو أقلّ مقارنة بالأمن. ولقد شهدت نابلس، وجنين ومؤخراً والخليل ظهور قوّات أمن تابعة للسلطة الفلسطينيّة منظمة الصفوف تعمل بإشراف برامج تدريب برعاية أمريكيّة وأوروبيّة كما شهدت مدن أخرى تنامي وجود هذه القوّات رغم كونها ذات طبيعة مؤقتة به وصورة عامة وتقاصت أطراف الجريمة في حين تفككت الميليشيات المدعومة من فتح والناجمة بصورة أساسيّة عن إبرام السلطة الفلسطينيّة تفاهمات ولي مراحل عمليّة بسط الأمن. ويرحّب الفلسطينيّون من جميع المشارب السياسيّة بالتطوّرات ويعتبرونها أبرز ما أنجزته السلطة الفلسطينيّة. 67

<sup>62</sup> في الأسابيع التالية لرفض حماس حضور الحوار، أقفلت مصر 40 Crisis . نفقاً في بادرةٍ فسرتها حماس على أنها تعبير عن السخط. Group interview قائد من حماس، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>63</sup> "إذا نصبت حماس أحمد بحار رئيساً ولم يعترف به أحد شكل هذا إحراجاً. فما اعتبرته حماس مصدر قوّة سيظهر على أنّه نقطة ضعف". Crisis Group interview، مستشار للرئيس، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

واعتبرت السلطة الفلسطينيّة الوضع في بعض المدن مثل طولكرم $^{64}$ إيجابيًا ما حدا بها إلى إلغاء عمليّة إدخال طاقم عمل متدرّب. Crisis Group interview، قائد أمني، طولكرم، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008. <sup>65</sup>ولقد تحسّن وضع هذا التفاهم منذ التقرير الأخير الصادر عن مجموعة الأزمات. مراجعة تقرير مجموعة الأزمات رقم 79، الحكم *في فلسطين 2: نموذج الضفة الغربيّة؟،* الصادر بتاريخ 17 تموز/يوليو 2008. وازداد العفو عدداً وبات أفراد الميليشيات السابقين أكثر ميلاً للامتثال لشروط التفاهم وانخفضت الفترة التجريبية لبعض المناصرين المدوّنة أسماؤهم على لائحة العفو من ثلاثة أشهر إلى شهرٍ واحدٍ. Crisis Group interview، مسؤول أمنى رفيع المستوى في السلطة الفلسطينيّة، رام الله، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008. ولكن هذا لا يعني أنّ البرنامج يخلو من الشوائب. في أوائل شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2008، أقدمت إسرائيل في مخيّم بلاطة للاجئين الواقع على مقربة من نابلس على قتل عضو سابق من كتائب شهداء الأقصى المؤيدة لفتح والذي كان اسمه مدرجاً على اللائحة. Crisis Group interview، شرطى سابق، نابلس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

interview مسؤول أمني فلسطيني، رام الله، Crisis Group interview 66 مسؤول أمني فلسطيني، رام الله، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008.

<sup>67</sup>ويجادل مؤيدو الحركة الإسلامية بالقول إن القانون والنظام يُطبقان بصورة اعتباطية وأنّ الجرائم المرتكبة بحقهم تبقى بلا عقاب في بعض الأحيان. وقال إسلامي كان قد تحدث في السابق بالإيجاب بشأن جهود السلطة الفلسطينية الأمنية "الأمن معدوم اليوم بالنسبة لحماس". السلطة الفلسطينية الأمنية "الأمن معدوم اليوم بالنسبة لحماس". الثاني/نوفمبر Crisis Group interview وزير سابق، الضفة الغربية، تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وضرب أمثلة عدّة. "تعرّض محمد غزال [قائد عماس] للخطف. الجميع يعرف هويّة الخاطف ولكنّ الشرطة تقف مكتوفة الأيدي. أطلق النار على سيّارة حميد بيتاوي [عضو من حماس مكتوفة الأيدي. أطلق النار على سيّارة حميد بيتاوي [عضو من حماس

وحتى الساعة صققت إسرائيل لحملة بسط الأمن التي تشنها السلطة الفلسطينيّة واعترفت بها بيد أنّ هذا لم يُقنعها برفع الحظر المفروض على التنقل. ولكنها اتخذت خطوات ملفتة مع أنّ المعوّقات الإجماليّة لا تزال أساسيّة. فما لم تتسم التدابير بالديمومة ولم يلتمس الفلسطينيّون رؤيا واضحة حول التدابير المستقبليّة، لا يُمكن توقع تحسّن تلقائي.  $^{68}$  وبحسب مسؤول في وكالة غوث دوليّة، "يحتاج الشعب إلى التماس قدرة على ارتقاب الأمور وعلى ضمان تماسكها لكي يتمكنوا من وضع الخطط". وعليه، في حين يُرجح أن تسجل الضفّة الغربيّة نمواً اقتصادياً عام 2008 (يصل بحسب تقديرات السلطة الفلسطينيّة إلى 4 أو على ويرفق بتراجع معدلات البطالة)  $^{70}$ ، يرى العديد من الخبراء أنّ فيّاض أبلى بلاءً حسناً نظراً للظروف الراهنة.  $^{71}$  إلا أنّ فيّاض أبلى بلاءً حسناً نظراً للظروف الراهنة.  $^{71}$  إلا أنّ تغيّرات جذريّة في البيئة الاقتصاديّة.

وبحسب أحد مستشاري فيّاض، "لا يُمكن تطبيق الإستراتيجيّة الاقتصاديّة في غياب تحسّن ملموس على صعيدي الحركة والنفاذ"<sup>73</sup> وهو يصطدم اليوم بأكثر من 600 عائق.<sup>74</sup> ويُلاحظ

في المجلس التشريعي الفلسطيني] ولم تحضر الشرطة قبل ساعة". Crisis Group interview، الضفة الغربيّة، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008.

68 ورد في تقرير صدر عن مكتب منسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية تعليق على أنّ جهود إسرائيل لتيسير الحركة في الضفة الغربية "إضافية ومرحب بها ولكن تأثير ها محدود جغرافياً". الغربية "إضافية ومرحب بها ولكن تأثير ها محدود جغرافياً". الدافع باراك عرض تحسنات إضافية ومنها إزالة حواجز أخرى، في أوائل شهر كانون الأول/ديسمبر، صحيفة هارتز، 6 كانون الأول/ديسمبر 2008. وفي خلال احتفالات عيد الأضحى، سمح للمواطنين الفلسطينيين من إسرائيل وسكان الضفة الغربية بالدخول إلى نابلس، وسمح لبعض سكان المدينة من الخروج من دون إذن وساهم وبنهاية العيد، شُل العديد من المبادرات. ويقول الفلسطينيون بأنها إذا أصبحت دائمة، يُمكنها أن تُحسن إلى حدّ بعيد الوضع الاجتماعي والاقتصادي. Crisis Group interview، مستشار بلدي في مدينة نابلس، كانون الأول/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview  $^{69}$  مسؤول في وكالة غوث دوليّة، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

70 interview مستـشار لفيّـاض، كـانون Crisis Group interview مستـشار لفيّـاض، كـانون الأوّل/ديسمبر 2008؛ Crisis Group interview كـانون الأوّل/ديسمبر 2008. يُشكك بعض للخبراء في تقديرات التوظيف المتفائلة. Crisis Group interview مسؤول في وكالة غوث دوليّة، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. Crisis Group interview أحرت دوليّة، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

والمستحن، كانون الأون المتأخرات، التي تمول بمبلغ 1.8 مليار دولار من موازنة دعم من الجهات المائحة، نسبة 10% تقريباً من إجمالي الناتج المحلي الفلسطيني. Crisis Group interview، مسؤول في وكالة غوث دولية، القدس، كانون الأوللاديسمبر 2008. كما يأتي مسؤولون في السلطة الفلسطينية على ذكر تدابير ماليّة أخرى، بما في ذلك خفض الضرائب ومضاعفة علاوات النقل. Crisis Group ذلك خفض الفرائب ومضاعفة علاوات النقل. 2008. مستشار لفياض، القدس، كانون الأولل/ديسمبر 2008.

2008. وافق مسؤول في منظمة غوث دوليّة وقال: "لم يؤد دفق أموال

المانحين غير المسبوق إلى نمو غير مسبوق لكون الحظر المفروض على الحركة وعلى النفاذ – على الرغم من تراجعه النسبي – يمنع القطاع الخاص من الاستجابة". Crisis Group interview، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008

وجود مؤشرات إيجابية: ازدهار أعمال البناء في منطقة رام

الله 75، تنامي السياحة خصوصاً إلى بيت لحم 76، عقد مؤتمرات

استثمار في بيت لحم ونابلس إلى جانب مجموعة تدابير فاوض

عليها مبعوَّث اللجنة الرباعيّة طوّني بلير 77 ولكنّ معدّلات النمو

لا تزال محبطة حتى الساعة حتى في جنين، حيث تصبّ السلطة

الفلسطينيّة مؤخراً جلّ جهودها على الأمن والاقتصاد 78

<sup>74</sup>يُقدّر العدد بحوالى 630. مراجعة " Closure Update "، المرجع السابق ذكره.

<sup>75</sup> تحسن الوضع الاقتصادي في رام الله أكثر من أي مكان آخر نظراً لكونها مدينة السلطة الفلسطينيّة المركزيّة، وموطن تركّز كبار مشاريع العمل وأموال المانحين والمنظمات غير الحكوميّة. وعليه، يميل مواطنو مدن أخرى إلى النظر شزراً إلى رام الله. في جنين على سبيل المثال تعرّضت منتجة تلفزيونيّة لمواعظ المشاهدين الذين سألوها "عمّا فعلته هي وسواها في رام الله لنصرة القضيّة الفلسطينيّة" بالمقارنة مع "الشهداء الذين قدّمتهم جنين". Crisis Group interview، منتج تلفزيوني، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>76</sup> ادعت الحكومة الإسرائيليّة إنّ السياحة إلى بيت لحم ارتفعت بنسبة 78% كما لوحظ تحسّن في قطاعي الزراعة والمصارف في الضفّة الغربيّة، بالإضافة إلى مؤشرات إضافيّةٍ أخرى. "ميل إيجابي في مؤشرات الضفة الغربيّة الاقتصاديّة"، وزير الدفاع الإسرائيلي، تشرين الثاني/نوفمبر 2008. ويُزعم أنّ معدلات شغل الفنادق في بين لحم ارتفعت بشكل كبير في خلال السنة المنصرمة ويُقترض أن تُسجّل عطلة عيد الميلاد دفقاً كبيراً من السيّاح. Group Crisis Group عضو في وفد بعثة طوني بلير للجنة الرباعيّة، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

<sup>77</sup> أعلن بلير عن الرزمة بتاريخ 13 أيار/مايو 2008 مع أنّ البنك الدولي أعلن في شهر أيلول/سبتمبر ما يلي "رغم التقدم المحرز حتى الساعة، لا تزال معظم البنود الواردة في رزمة الثالث عشر من أيار غير مكتملة". المرجع: : Palestinian Economic Prospects غير مكتملة". المرجع: :Aid, Access and Reform البنك الدولي، 22 أيلول/سبتمبر 2008. تتألف اللجنة الرباعية من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة ممثلة بأمينها العام.

78 الم تزدهر مشاريع العمل، ويستمر النشاط الاقتصادي بتسجيل أدنى المستويات ولا تزال الثقة في مشاريع العمل متدنيّة"، " Jenin Portland Trust "، Potential "، Portland الثاني/نوفمبر 2008. وفي ما ورد على قناة الوطن في منتدى شهر تشرين الثاني/نوفمبر، وافقت مجموعة من المسؤولين المحليين والناشطين في المجتمع المدني على أنّ تدخّل الحكومة كان فاشلاً. وتتضمن أبرز المشاكل الواردة: الهجرة الناجمة عن أسباب اقتصاديّة (غادر المدينة 25.000 مقيم في السنوات المنصرمة)؛ وسعر المياه، ومعدلات البطالة التي تؤثر في خرّيجي الجامعات. وقال أحد المشاركين: "تقوم السلطة الفلسطينيّة بمشاريع إغاثة متفرقة ولا تسعى إلى تحقيق التنمية". قرص مدمج سُلم إلى مجموعة الأزمات. وحيث وفي مواجهة هذه المشاكل، وسّعت السلطة الفلسطينيّة مشاريع التنمية المحليّة متدنيّة الكلفة (50.000\$ -150.000) ونجحت بصورة غير مركزيّة بالارتقاء بعطاء المجتمع إلى أقصاه. ومع أنّ التـأثير الاقتـصادي هامـشي نـسبيًّا إلاّ أنّ القيمــة الاجتماعيّة والسياسيّة يُمكن أن تكون عظيمة. على سبيل المثال، قامت أربع مدارس جديدة في نابلس بخفض العمل بدوامين للطلاب؛ ويعني تجديد جناح في مستشفى الرافديّة في نابلس أنّ عددا أقلّ من المرضى

أمّا التنبؤ بالمستقبل ففي تباين. رأى أحد مستشاري رئيس وزراء السلطة الفلسطينيّة أنّ التحسنات ستتسارع عام 2009 نتيجة التقدم الأمني المستمر، و"تنامي مستوى السخط في العالم حيال عدم تجاوب إسرائيل" وما يُتوقع من انخراط إدارة أوباما في العمل السياسي. ولكن إذا تولى نتنياهو تشكيل الحكومة المستقبليّة في إسرائيل فهو سيبطئ عجلة المفاوضات السياسيّة ولكن يُعوّض عنها عبر تغليب النمو التجاري والاقتصادي. <sup>79</sup> وعلى صعيد آخر، تكثر الأسباب الداعية للقلق. فعلى الرغم من ضخ الأموال الأجنبيّة عام 2008 لا يزال الوضع شديد الهشاشة، ونظراً للأزمة الماليّة العالميّة يُستبعد أن تتوافر مبالغ مماثلة في ونظراً للأزمة الماليّة العالميّة يُستبعد أن تتوافر مبالغ مماثلة في العام 2009. ومن شأن تراجع أسعار النفط أن يؤثر في تحويلات دول الخليج كما يُمكن لتراجع الاقتصاد الإسرائيلي أن يُسيء إلى التجارة مع السلطة الفلسطينيّة. 80

وحتى الساعة، تعوّل السلطة الفلسطينيّة على امتنان الشعب حيال تحسّن الوضع الأمني وعلى وعيه أنّ السلطة تتولى معالجة الأمور. وقال مستشار رئاسي، "ليس الشعب غبيّاً. فهو يعي أننا تنجز فرضنا حتى ولو عجزنا عن معالجة جميع المشاكل وإذا لم يُعمد إلى إزالة حاجز الحوارة خارج نابلس، فالشعب يعرف أنّ سبب المشكلة إسرائيل لا السلطة الفلسطينيّة. أمّا إذا وقعت فوضى أمنيّة داخل نابلس، فكان واضحاً أنّ الذنب ذنبنا". 81

أمّا أكثر المشاكل صعوبة فتعني المفاوضات مع إسرائيل. وفي هذا تناقض: فالمحادثات بين القادة الإسرائيليين والفلسطينيين لم تصل يوماً إلى هذا الحدّ، ولكن في المقابل لم تبلغ الشكوك في أوساط الرأي العام الفلسطيني والإسرائيلي يوماً هذا القدر من الذروة. فبحسب النقارير، اقترح أولمرت سرّاً على عبّاس ما يُعادل 100% من الضفة الغربيّة في مقابل تبادل للأراضي (بما يتضمن تشاركا متساوياً لمنطقة لاترن العازلة المتنازع عليها بين الطرفين). كما يُزعم أنه وافق على تقسيم القدس على طول الحدود الديمغرافيّة لإنشاء عاصمتين وإخضاع المدنية القديمة والأماكن المقدسة لنظام خاص لم يحدده. ولم يتحرّك كثيراً في شأن اللاجئين (ما يُستشف منه تراجع عن اقتراح سابق بإعادة مفاوض إسرائيلي سابق، "هذا الموقف أقرب ما يكون إلى مفاوض إسرائيلي سابق، "هذا الموقف أقرب ما يكون إلى

سيُضطر للسفر إلى القاهرة وعمّان لتلقي العلاج؛ ويُسهّل تعبيد الطرق النفاذ للمشاريع الصغيرة. وعليه، استكملت السلطة الفلسطينيّة 300 مشروعاً وهي تنقذ اليوم 500 مشروع إضافي، وتخطط لــ400 مشروع آخر. Crisis Group interview، مستشار لفياض، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. ولقد شجّع النجاح المانحين على التعهد بتوفير التمويل لعام 2009. ولقد شجّع النجاح (2008، مسؤول في وكالة رئاسي، رام الله، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2008، مسؤول في وكالة غوث دوليّة، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

الموقف الفلسطيني، لا بل هو أقرب إليه من معايير كلينتون ومحادثات طابا". 82

ولكن عبّاس لم ير هذا كافياً وبالنسبة إلى غالبيّة الفلسطينيين، يبدو أنّ المفاوضات لم تثمر شيئاً رغم التعهّد بالتوصّل إلى اتفاق بحول نهاية العام 2008. 8 وما يصب الزيت على نار تشاؤم الفلسطينيين، احتمال أن يُحقق الليكود النصر في انتخابات شباط/فبراير 2009 مما يؤدي إلى تشكيل حكومة يرأسها بنيامين نتنياهو. ويُقابل هذا إلى حدِّ بعيدٍ، بالأمل في أن تكون إدارة أوباما أكثر التزاماً وأبكر إليه من خلفيها.

#### 2. في مطاردة حماس وغزة

أنزلت السلطة الفلسطينيّة بحماس أشدّ التدابير بموازاة جهودها لإقناع الفلسطينيين بأنّها تُحقق إنجازات على جبهة الضفّة الغربيّة وعلى الجبهة الدبلوماسيّة. ولقد استمرّت الضغوط مشحونة على الحركة الإسلاميّة منذ وضعت يدها على غزّة وتقدمت خطوات بدءاً باستهداف الأسلحة والمؤسسات والأموال. 84 ولقد تصعّدت الحملة في شهر آذار/مارس من العام 2008 ومن ثمّ مجدداً بصورة دراميّةٍ في تشرين الأوّل/أكتوبر ولا تزال مستمرّةً حتّى هذا اليوم. 85

ودوّنت منظمات حقوق الإنسان ما حصل. وهي تقدّر عدد المعتقلين السياسيين في الضفة الغربية بحوالى 300 أو 400 وتشير إلى أنّ الوكالات الأمنيّة قامت منذ شهر أيلول/سبتمبر بتجاهل المحاكم المدنيّة كاليّا وبإحالة المدنيين أمام المحاكم العسكريّة. 86 ويدعي المحامون أنّه عندما تتدخل المحاكم المدنيّة، غالباً ما يُضرب بأحكامها عرض الحائط<sup>87</sup>؛ هذا ويتم تهميش منظمات حقوق الإنسان بدورها ويقوم رئيس المجلس العسكري

Crisis Group interview <sup>79</sup> القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. <sup>80</sup> Crisis Group interview دوليّة، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview 81 مستشار للرئيس، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>82</sup> كنتل عن أولمرت أمله في التوصل إلى نوع من الاتفاق بشان التولي التوصل إلى نوع من الاتفاق بشان التوصل إلى نوع من الاتفاق بشان معايير أساسية للتوصل إلى اتفاق قبل انتهاء ولايته. ولكن بحسب أقوال مسؤول إسرائيلي "هو الشخص الوحيد على وجه الأرض الذي ينشد هذا الهدف". Crisis Group interview كانون الأول/ديسمبر 2008. المستب بعض التقارير، تعرض بعض سكان الضفة الغربية للاعتقال لتقيم المال من غزة. Crisis Group interview، إسلامي مستقل، الضفة الغربية، أيلول/سبتمبر 2008.

Crisis Group interviews <sup>85</sup> قادة حماس، تشرين الأوّل/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر، 2008؛ مدير منظمة حقوق الإنسان، رام الله، 20 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>86</sup> بأمر من المجلس القضائي الفلسطيني الأعلى، فتش قاض في منشآت الاعتقال التابعة للسلطة الفلسطينية في شهر أيلول/سبتمبر وأفاد بأن جميع السجناء الذين يعتقلهم الأمن الوقائي والمخابرات قد جرت محاكمتهم أمام محاكم عسكرية. "التقرير الشهري رقم 1"، السلطة القضائية، شعبة الإعلام والعلاقات العامة، تشرين الأول/أكتوبر 2008. ويفيد المحامون بأن مهل الاعتقالات العسكرية قد مددت إلى حدّ سئة أشهر. Crisis Group interview، رام الله، كانون الأول/ديسمبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>87</sup> وفي شهر تشرين الأوّل/أكتوبر، أمرت المحكمة الفلسطينية العليا بإطلاق سراح مدني مثل أمام محكمة عسكرية و عندما وصل ومحاميه إلى بوّابة مجمّع الأمن الوقائي، أعيد اعتقاله بذريعة "تهمة أمنيّة أخرى". Crisis Group interview، محام نشاط في حقل حقوق الإنسان، رام الله، كانون الثاني/ديسمبر 2008.

الأعلى عبد العزيز الوادي بحظر القضاة العسكريين والمدعين العامين العسكريين من التعاطي مع منظمات حقوق الإنسان. 88 كما يتهم مناصرو حقوق الإنسان السلطة الفلسطينيّة باللجوء إلى التعنيب<sup>89</sup>، بلا خوف من العقاب وبثقة تامة لا يُمكن إلا أن تترافق مع الدعم السياسي. 90 ولعلّ المؤشّر الأقوى عن وجود دعم سياسي هو أنّه رغم إعلام منظمات حقوق الإنسان مسؤولي السلطة الفلسطينيّة عمّا حصل في السجون قبيل محادثات المصالحة في القاهرة، نفى هؤلاء وجود أي سجين سياسي. 19

وليست الاعتقالات السياسية سوى عنصر من عناصر الحملة التي اشتدت في تشرين الأوّل/أكتوبر. ولقد شددت الأجهزة الأمنية تغتيش الموظفين المدنيين؛ وقامت السلطة الفلسطينيّة بطرد حوالى 400 أستاذ لاشتباه تعاطفهم مع حماس في الشهر نفسه. 22 كما اقتضت الترقيات والتعيينات القضائيّة، على ما

Crisis Group interview <sup>88</sup>، مدير منظمة ناشطة في حقل حقوق الإنسان، رام الله، كانون الأول/ديسمبر 2008.

<sup>89</sup> أمّا الشبح فأكثر أشكال التعذيب شيوعاً بحسب العاملين في حقل حقوق الإنسان و هي ممارسة تقضي بتعليق السجين من المعصمين المكبّلين خلف الظهر. Crisis Group interviews، رام الله، تشرين الثناني/نوفمبر 2008. مراجعة أيضا، "clampdown, reports of torture grow"، وكالمة رويترز، 4 كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

90 ردًا على ملف دسم يُعالج قضية تعذيب أحيلت إلى وكالة الأمن الوقائي التابعة للسلطة الفلسطينية، تلقت منظمة ناشطة في حقل حقوق الإنسان ردًا موجزاً أتى فيه: "تتبع الإجراءات المبادئ العامة والقانون ... نرفض هذا الأسلوب من التعاطي ... وتحميل وكالتنا مسؤولية قانونيّة". نسخة عن الرسالة مزودة لمجموعة الأزمات.

<sup>91</sup> يـدعي مـدير منظمـات إنـسانية أنّـه تحـدث مـرّات عـدّة مـع كبــار المسؤولين في السلطة الفلسطينيّة قبل خطاب عبّاس في شهر تشرين الثاني/نوفمبر. مقابلة هاتفيّة أجرتها مجموعة الأزمات، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. وفي أوائل شهر أيلول/سبتمبر 2008، تشكّلت لجان مستقلة في الضفة الغربيّة وقطاع غزّة لمعالجة شؤون المعتقلين السياسيين وضمّت محامين وسياسيين وممثلين عن المجتمع المدني. وبحسب عضو في لجنة الضفة الغربيّة، التقت المجموعة مع عبّاس ووزير الداخليّة ووعد كلاهما بالتعاون المطلق. ولكنّ وكالات الأمن رفضت منح اللجنة الوصول على حوالي 200 معتقل وإلى المنشأت التي طلبت المجموعة زيارتها؛ ادعى زياد هب الريح، رئيس الأمن الوقائي أنّ جميع المعتقلين مجرمين وليس بينهم معتقل سياسي مع أنّ الجميع خضع لمحاكمة عسكريّة لا مدنيّة. ولم يخرج اجتماع مع مكتب رئيس الوزراء بشيء حيث شدد الممثلون على أنّ التعريف "بالسجين السياسي" يقتضي مزيداً من البحث. وعادت المجموعة والتقت مع عبّاس ووزير الداخليّة لتسجيل الشكاوى والمطالبة بالزيارة ولكنّ الوعد ظلّ حبراً على ورق. وبعد حوالي 40 يوماً حلَّت اللجنـة نفسها لأنّ السلطة الفلسطينيّة رفضت التعاون. أمّا في غزّة، فلاقت اللجنة تعاوناً أفضل من جانب الحكومة التي التقت بالمجموعة واعترفت بأسماء الأشخاص الثمانية والثمانين الذين وردوا على أنهم سجناء سياسيين وأطلقت سراح اثني عشر منهم كبادرة حسن نيّة. ولكن عندما أبدت السلطة الفلسطينيّة تردداً، قامت هي الأخرى بشلّ تعاونها. Crisis Group interviews، أفراد من لجنة الضفة الغربيّة وقطاع غزّة، رام الله ومدينة غزّة، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

<sup>92</sup> Crisis Group interviews ، وزير سابق في السلطة الفلسطينية وعمّال في مجال حقوق الإنسان، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر 2008.

يُزعم، "توصية أمنية" إيجابية، شأنها بذلك على ما يبدو شأن المحصول على عقد حكومي.  $^{92}$  وفي حين يُرفض توظيف من يُشتبه بولائهم السياسي، يُمكن تهميش من هم في الخدمة المدنية من تبوء مناصب نافذة.  $^{94}$  وترى أحد المدافعين عن حقوق الإنسان، الذي صنف قبل سنة ونصف الجدل القائل بأنّ السلطة الفلسطينية دولة بوليسيّة "بالمبالغة"  $^{96}$ ، يُلطف نظرته ويقول: "تتبع الحكومة سياسية التطهير السياسي. فإذا لم تكن من مؤيدي الحكومة سياسيّا، لا مكان لك في الوظيفة الحكوميّة".  $^{96}$  وبمعزل عن الخدمة المدنيّة، كثفت الحكومة نشاطها، وزادت من مراقبتها الجوامع واستبدلت مجالس جمعيّات غير حكوميّة بلجان معيّنة.  $^{97}$ 

وعندما أخذ على موظفي الأمن في السلطة الفلسطينيّة تدابيرهم، ادعوا أن لا خيار أمامهم. "تعلمنا الدرس من غزّة ويستحيل أن ندع ذلك السيناريو يتكرر". <sup>98</sup> وكثفت القوّات الأمنيّة وجودها في الشارع، فزاد عدد حرّاس الأماكن العامة، وبات المزيد من السيّارات يخضع للتقتيش وزاد اعتقال المناصرين الإسلاميين المشتبه بهم. <sup>99</sup> وتعرب السلطة عن قلقها بأن تشنّ حماس حملة عنف لتعلن انتهاء ولاية عبّاس، ولكن معظم القادة الأمنيين في السلطة الفلسطينيّة يُشككون سرّاً في قدرة الإسلاميين العسكريّة في الضفة الغربيّة فيصفونها بشبه المنقرضة. وعلى ما يرون، قد تنجح حماس في زعزعة حسّ المواطنين بالأمن كأن تلجأ إلى

<sup>&</sup>lt;sup>93</sup> بعد مباراة تنافسية لمنصب قاضي، استدعى فرع الأمن الوقائي عدداً من المرشحين رفيعي المستوى. وعليه، استبعد اسمان من اللائحة وعندما استعلم المرشحين عن السبب، قيل لهما إن تقييمهما الأمني جاء سلبياً. وروى مرشحان للترقية إلى منصب مدير عام في وزارات السلطة الفلسطينية قصة مماثلة لما روته شركات خاصة قدّمت طلباً لمناقصات حكومية. Crisis Group interviews، عمّال في مجال محقوق الإنسان، رام الله، كانون الأول/ديسمبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>94</sup> Crisis Group interview، عامل في مجال حقوق الإنسان، رام الله، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

Orisis Group interview 95 رام الله، حزيران/يونيو 2008. كان بصدد التعليق على بيان ممدوح العقر، آنذاك رئيس هيئة السلطة الفلسطينية لحماية حقوق الإنسان، وقد قال إنّ الضفة الغربيّة وقطاع غزّة قد أصبحا "نوعاً من دولة أمنيّة، دولة شرطة". وكالة رويترز، 2008 أيار/مايو 2008.

Crisis Group interview  $^{96}$  محام مدافع عن حقوق الإنسان، رام الله، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>97</sup> وكانت السلطة الفلسطينية قد استبدات في السابق مجالس لجان الزكاة في الضفة الغربية. ولهذه الخطوة تعليل قانوني مفاده أنّ اللجان هيئات شبه رسمية خاضعة لسلطة وزير من السلطة الفلسطينية. ومنذ شهر تشرين الأوّل/أكتوبر، قامت السلطة الفلسطينية باستبدال مجلس إدارة ثلاث منظمات غير حكومية على الأقل في حين أقفلت السلطة الفلسطينية 250 مؤسسة منذ شهر حزير ان/يونيو 2007، وفي بعض المالات سيّما عندما توقر هذه المؤسسات خدمات مثل التعليم، يُخشى أن يودي إقفالها إلى إحداث رد فعل شعبي وبالتالي يُصبح تغيير المجلس خياراً أفضل. Crisis Group interview، عاملون في حقل حقوق الإنسان، رام الله، كانون الأوّل/ديسمبر 2008؛ مقابلة هاتقية أجرتها مجموعة الأزمات، اللجنة المستقلة لحقوق الإنسان، كانون الأوّل/ديسمبر 2008؛

<sup>98</sup> Crisis Group interview، مسؤول أمني فلسطيني، رام الله، 9 تشرين الأوّل/أكتوبر 2008.

Crisis Group interview <sup>99</sup> مسؤولو الأمن الفلسطينيّون، تشرين الأول/أكتوبر 2008.

عبوات ناسفة أو تعتدي على مؤسسات عامة وعلى موظفين ولكنها لن تنجح في شنّ حملةٍ مستدامة ناهيك عن وضع يدها على الضفة الغربيّة. 100

ويجري حاليًا تدريب شرطة الضفة الغربية على ضبط أعمال الشعب والمظاهرات من دون اللجوء إلى وسائل دامية 101، ولكن اشتدت في الوقت نفسه لازمة وجود قادة أمنيين. ولقد قامت شخصيّات أمنيّة بارزة بالإشارة إلى حماس أمام نظراء إسرائيليين على أنها "العدو المشترك" 102 واستعانت بتعابير عنيفة للدلالة على كيفيّة التعاطي معها. وردّ أحدّ المسؤولين على سؤال حول توقع اتخاذ حماس تدابير في الضفّة الغربيّة بالقول:

لا تسألوا ما ستفعله حماس بل اسألونا عن الردّ. فحتّى إذا لم تعتد حماس علينا، لن نترك من عناصرها فرداً من جنين وحتى الخليل. 103

وقال آخر، "إذا فتحوا النار علينا فلن نكون رحماء. إذا وقعت حادثة واحدة فهذا يعني أننا سنذهب لمطاردتهم جميعاً. إذا حصل أي شيء في الخليل، فسيدفعون الثمن في الضفة الغبيّة. إذا اختبأوا خلف نسائهم وأطفالهم فسنعبر هؤلاء وصولاً للرجال". 104

وبمعزلِ عن دوافع السلطة الفلسطينيّة، فلقد أكسبتها جهودها المستدامة وتكتيكاتها القاسية اقتناع العديد من المشككين بأنّ السلطة عازمة على مواجهة حماس – ومنهم المسؤولين

100 Crisis Group interview أمسؤولون أمنيّون فلسطينيّون، الصفة الغربيّة، أيلول/سبتمبر وتشرين الأوّل/أكتوبر 2008. أمّا المقارنة مع الوضع السابق لوضع اليد على غزّة فهي موضع شكّ. وكانت تنعم حماس في غزّة بميليشيات حسنة التطوير وبدعم شعبي أكبر؛ وكانت إسرائيل قد دمّرت معظم منشآت السلطة الفلسطينيّة الأمنيّة؛ ولم تُسدد الأجور لقوّات السلطة الفلسطينيّة الأمنيّة نتيجة المقاطعة الدوليّة؛ وأفلتت الشوارع عن السيطرة؛ وشكّلت القنوات منبعا جاهزا لإمداد الإسلاميين بالأسلحة؛ وأحدث فك الاشتباك أحادي الجانب الفوضى في القطاع الأمني.

101 وشكلت بعثة الشرطة الأوروبية أكبر هذه البرامج ولقد طبقت في الأراضي الفلسطينية (EUPOL COPPS) وقامت بتدريب حوالى الأراضي الفلسطينية (EUPOL COPPS) وقامت بتدريب حوالى الف شخص على تقنيات بسط الأمن. وقال أحد أفراد البعثة، إنّ الشرطة تحاسب في نهاية الأمر على كيفية تعاطيها مع أعمال الإخلال بالأمن العام في حين تكثر الأسباب الذي تدعو للأمل بألا تتحوّل النظاهرات إلى أعمال عنف والصورة السياسية ومن أبرزها. مقابلة هاتفية أجرتها مجموعة الأزمات، COPPS COPPS، كانون الأول/ديسمبر 2008.

102 صحيفة يديعوت أحرونوت، 19 أيلول/سبتمبر 2008. علق مسؤول أمني دولي بأن الإشارة إلى حماس على هذا النحو "بغاية الخطأ. Crisis Group أمر آخر". Crisis Group ، القدس، 2008.

Crisis Group interview  $^{103}$ ، مسؤول أمني فلسطيني، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

عمرين المستوى الأوّل/أكتوبر 2008. وأضاف ثالث تعقيباً على هذه الآراء: "سوف نفتح النار ولن نكتفي بالاعتقال وباستخدام القوّة غير المبررة سوف نريهم أننا جديّون وسوف نردّ على التصعيد بالتصعيد". (Crisis Group interview مسؤول أمني فلسطيني، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

الإسرائيليين عن الدفاع. لا بل أفاض بعض الإسرائيليين في التبجيل قائلين إنّ أداء قياديي الأمن في السلطة الفلسطينيّة التخطى توقعاتهم. فلديهم الدافع والحسّ المهني ويقولون لنا بوضوح: لستم عدوّنا بل العدو حماس". <sup>105</sup> وذهب احد المسؤولين إلى أبعد وقال "اتخذ أبو مازن القرار الشجاع بشطب حماس من الوجود". <sup>106</sup> وعلى ما يرون، أخذت السلطة الفلسطينيّة الحركة الإسلاميّة على حين غرّة فزعزعت صفوفها ورجّحت بحزم كفّة الميزان لصالحها. ويستشهدون بواقعتين: رغم استفزازات المستعمر الوقحة في الضفة الغربيّة لم تحرّك حماس بعد ساكناً، المستعمر الوقحة في الضفة الغربيّة لم تحرّك حماس بعد ساكناً، على وقف التدابير الصارمة المتخذة بحقها. <sup>107</sup>

أمّا حدّ السيف الآخر فهو أنّ مقاربة السلطة الفلسطينيّة العنيفة قد بدأت تستعدي بعض الفلسطينيين. وقال مسؤول من السلطة الفلسطينية وقد أحرجته مواقف حكومته إنّ الانشقاق بات "حربا بين العصابات". 108 في الخليل، افت صاحب متجر إلى أحد حواجز السلطة الفلسطينيّة قائلاً "ليس الهدف من هذه الحملة بسط الأمن والقانون بل مكافحة حماس". وقال عامل نقل في نابلس "يعمل الاحتلال على دوامين: السلطة الفلسطينيّة نهاراً، وإسرائيل ليلاً". 109 وعبّر البعض من داخل فتح عن قلقهم حيال التعاون الوطيد بين السلطة الفلسطينيّة وإسرائيل في محاربة حماس. وحيث وجّه ما يعتبر أكثر الشتائم حدّةً على الإطلاق قال: "إذا ثابرت فتح على هذا المنوال، انتهى بنا الأمر مثل جيش لبنان الجنوبي". 110

وأيّد البعض في رام الله بمن فيهم أحد كبار قياديي فتح المقرّبين من الرئيس زيادة الضغط على غزّة. ومن الخيارات إعلان القطاع "منطقة ثوريّة" تقطع عنها الرواتب والأموال التي تسددها السلطة الفلسطينيّة للمؤسسات. 111 وحيث تنفق رام الله

مسؤولون عن الدفاع في إسرائيل، Crisis Group interview  $^{105}$  كانون الأول/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>106</sup>، تل أبيب، 12 تشرين الثاني/نوفمبر .2008

Crisis Group interview 107، مسئوول إسرائيلي، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

 $<sup>^{108}</sup>$  Crisis Group interview مسؤول في السلطة الفلسطينيّة، رام الله، أيلول/سبتمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>109</sup>، رام الله، أيلول/سبتمبر 2008، الخليل 22 تـشرين الثـاني/نـوفمبر 2008، نـابلس، 27 تـشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>110</sup> Crisis Group interview الأوّل/أكتوبر 2008. وكان جيش لبنان الجنوبي على صلة وثيقة باسرائيل. حيث ينظر إليه سائر اللبنانيين على أنه متعاون مع إسرائيل، هرب معظم جنوده عندما انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان عام 2000. هرب معظم جنوده عندما انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان عام 2000. الله وفوراً بعد وضع اليد، طلب فقط إلى طاقم العمل الأمني وإلى من يعتبرون نفسهم خاضعين لضغط حماس ملازمة منازلهم (بينما استمروا في تقاضي أجورهم)، أمّا من يُعتبر مؤيداً لحماس فتوقفت عنه بيروقراطيّة الحكومة، طرد عددٌ متزايدٌ من موظفي السلطة الفلسطينية أو اختاروا البقاء بعيداً عن مكاتبهم، ودعمت رام الله الإضراب في قطاعي التعليم والصحة مما أخرج عدداً متزايداً من موظفو سلطة النقد الفلسطينية من قوى العمل، واليوم، وحدهم موظفو سلطة النقد

حوالى 400 مليون شيكل [ما يُعادل 101 مليون دو لار أمريكي] على غزة 112، قال أحد المستشارين "علينا أن نوقف تمويل هذا الانقلاب على نفسنا. إذا رفضت حماس المساومة فسوف تُجبر على تولي مسؤولية الشؤون اليوميّة". 113

وكانت إسرائيل قد سعت إلى تحقيق حصيلة مماثلة عبر حظر دخول الشيكلات إلى غزة مما جعل تسديد الرواتب مستحيلاً. 114 وقال مسؤول إسرائيلي "يعوّل اقتصاد غزة بنسبة كبيرة على الشيكل وقد يؤذن هذا القرار بانهيار اقتصادي فعلي. وقد يؤلب هذا القرار السكان على حماس ويُطلق موجة من التظاهرات الما السؤال فهو هل تستطيع حماس أن تحوّل الغضب نحو إسرائيل والسلطة الفلسطينيّة". 115 وفسر قائد لفتح في غزّة ما اعتبره بكم ردّ السلطة الفلسطينيّة على الأزمة على أنّه "رسالة إلى الأنصار بأنّ رام الله تحمل وزر غزّة. فالأنفاق تؤمن السلع ولكن لا يستطيع أحد شرائها من دون رواتب السلطة الفلسطينيّة". 116

وفي الوقت نفسه، قلق المسؤولون الاقتصاديّون في السلطة الفلسطينيّة ونظراؤهم الدوليون بأن يؤدي تكتيك إسرائيل ردّ فعل معاكس. وقال أحدهم، "تُخطئ إسرائيل في الجمع بين النقد في غزّة والنقد بين يدي حماس. وفي الواقع العكس هو الصحيح: إذا استمرّت إسرائيل بحظر دخول النقد، انتقلت غزّة من نظام مصرفي قانوني إلى نظام غير قانوني تفيد منه حماس". 117 ولعل

الفلسطينيّة يحضرون للعمل مع أنّ رام الله تطلب في بعض الأحيان أن يتولّى موظفون آخرون مهاماً محددة، Crisis Group interview موظفون آخرون مهاماً محددة، آب/أغسطس- تشرين موظفون في السلطة الفلسطينيّة، مدينة غزّة، آب/أغسطس- تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وبالنظر لطبيعة بيروقر اطيّة الحكومة المتغيّرة، قال بعض مسؤولي السلطة الفلسطينيّة وفتح إنّه يجب على السلطة الفلسطينيّة أن تستمر في "دعم شعبها" في غزّة ولكن ليس عن طريق الموسسات الرسميّة. Crisis Group interview، مسؤول رفيع المستوى في للسلطة الفلسطينيّة في رام الله، تشرين الأوّل/أكتوبر المستوى في للسلطة الفلسطينيّة في رام الله، تشرين الأوّل/أكتوبر في في فلسطين 1: غزة تحت سيطرة حماس"، المرجع السابق ذكره، ورقة مجموعة الأزمات الموجزة رقم 24 حول الشرق الأوسط، "لجولة الثانية في غزة"، الصادرة بتاريخ 11 أيلول/سبتمبر 2008. المسلطة الفلسطينيّة، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. ويشمل العدد الرواتب والتعويضات والمساعدات الاجتماعيّة ودعم النفط والكهرباء.

Crisis Group interview 113، مستشار للرئيس، رام الله، تشرين الأوّل/أكتوبر 2008.

114 وحيث ترفض إسرائيل دخول الشيكلات إلى القطاع، تراجع إجمالي احتياطي هذه العملة إلى حوال 47 مليون (12 مليون دولار أمريكي). وحيث لا بدّ من وجود 250 مليون شيكل تقريباً (47 مليون دولار أمريكي) لتسديد رواتب السلطة الفلسطينية الشهرية في القطاع، لم يتقاض موظفو غزة وعددهم 77.000 أجور هم لشهر كانون الأول/ديسمبر في موعدها. وكالة رويترز، 4 كانون الأول/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>115</sup>، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. <sup>116</sup> «Crisis Group interview مدينة غزّة، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

2000. القدس، Crisis Group interview أقتصادي دولي، القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. لا بل الأسوأ أنّ بعض المسؤولين يخشون بأن يؤدي النقص في الشيكل إلى نشر استخدام الدولارات مما يعمق الموّة في الضفة الغربيّة؛ المرجع نفسه؛ ومراجعة Crisis Group مسؤول مالى في السلطة الفلسطينيّة، أيلول/سبتمبر 2008.

إسرائيل سمحت في نهاية المطاف بدخول حوالى 100 مليون شيكل (حوالى 25 مليون دولار أمريكي) بضغطٍ مزعوم من صندوق النقد الدولي وطوني بلير، فاصطف آلاف الفلسطينيين أمام المصارف لتلقي أجورهم.

ولكن يبدو الرئيس عبّاس حتّى الساعة متردداً حيال اتخاذ مزيدٍ من التدابير الحاسمة ويبدو معارضاً لفرض عقاب جماعي على سكّان غزّة 119 ولا شكّ أنّ غايته تدعيم شرعيّته كقائد للأمة قد يُقوّض إذا ما اتبع منحاً مماثلاً. وقال مستشار آخر تبدو آراؤه أقرب إلى موقف الرئيس بهذا الخصوص "لا يجب أن نعاقب شعبنا لأن حماس احتاتنا".

يُضاف إلى هذه الحجة أنّ وقف الدعم من شأنه أن يُضعف وجود فتح في غزّة. ومن غير المفاجئ أن يعترض من تبقى من الحركة في غزّة اتخاذ حركة مماثلة: "القيادة غائبة كلّ الغياب في غزّة ولكنّ القاعدة لا تزال متينة. إذا أعلن أبو مازن بأنّ غزّة منطقة ثورية وقطع عنها الأجور، فقدت فتح تلك القاعدة. واحتقن الشعب غضباً وتخلى عنها. وبالنتيجة: تتدخل دولة أخرى لتسديد الأجور ويتلقى هو الضربة القاضية".

وما قد يزيد الطين بلة قيام إسرائيل بعمليّة عسكريّة شاملة. وبحسب مصدر مقرّب إلى الرئيس، ستكون هذه الخطوة بمثابة "كارثة. فحتّى لو ندد بها عبّاس، بدا بمظهر الداعم لها. ودفع الشعب الثمن بينما توقر حماس لشعبها المأكل والمؤونة بواسطة الأنفاق".

## 3. فتح إلى أين؟

سلط فوز حماس في انتخابات العام 2006 المجهر على الأزمة التي تتخمر في أوساط فتح منذ بعض الوقت. وفي سعي عبّاس إلى تعزيز شرعيّته، وتدعيم موقف فتح وهزم تحدي حماس، تعهد تجديد الحركة على أمل أن تنطق بصوت موحد لنصرة جدول أعماله. وفي خطوة أولى، تعهّد التنظيم لمؤتمر الحركة

انون المحان غزّة، 12 – 13 Crisis Group interview الأوّل/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview  $^{119}$  مستشار للرئيس، رام الله، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>120</sup> مستشار للرئيس، رام الله، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>122</sup> Crisis Group interview الثاني/نوفمبر 2008. تدعم أقليّة عمليّة قيام السلطة الفلسطينية بحملة الثاني/نوفمبر 2008. تدعم أقليّة عمليّة قيام السلطة الفلسطينية بحملة عسكريّة مسنودةً بدعم دوليّ. وقال مسؤول أمني، "احتشد في الكويت 33 جيشًا لتطبيق القانون الدولي و هذا كلّ ما نطالب به هنا. كلّ ما نحتاج إليه هو جزء صغير من مدينة رفح الحدوديّة لشنّ اجتياح. المتواتد Crisis Group interview الأولّ/أكتوبر 2008.

العام السادس الذي طال تأجيله. 123 ولكنّ إعادة بناء فتح ليست بالمهمّة اليسيرة. فحيث جُرّدت الحركة من برنامج سياسي متعارف عليه أو من قيادة شرعيّة، فتشرذمت صفوفها وباتت تسير على غير هدى وتتخبط في أوحال الخلافات، توافق الكثيرون بمن فيهم الحركة على تشخصيها بالرجل العليل المشرف على الموت. وأكّد قائد بالقول "انتهى أمر فتح. ما عادت تستطيع إعادة إحياء نفسها". 124 وأضاف آخر، "تعي حماس أننا ننقرض وهي تتحيّن اللحظة. لدينا قيادة لا نستطيع استبدالها وقيادة لا نستطيع إرضاءها". 125

لا يُشاركه الجميع هذا التشاؤم. في الواقع، أبدى البعض من قاعدة الحزب تفاؤلاً في لقاءٍ لهم مع مجموعة الأزمات. وبحسب قادة فتح الإقليميين اعتادت وسائل الإعلام رؤية الثغرات مما أعماها عن التماس التطوّرات الإيجابيّة. ونفى هيثم الحلبي، أمين عام فتح المنتخب حديثاً عن منطقة نابلس، أن تكون الحركة غارقة حتى الساعة في الأزمة: "منذ ثلاث سنوات بعد انتخاب المجلس التشريعي، كانت الحركة في أزمة. أمّا اليوم فلقد اتخذنا زمام المبادرة ونحن نسير صوب الديمقراطيّة في الحركة ونستعيد ثقة الشعب". 126 وإذا ما صدقت استطلاعات الرأي، فشعبيّة الحزب في تنام. 127

بهدف تجديد الحركة والإعداد للمؤتمر العام، بادرت فتح إلى عملية انتخابية منذ القاعدة وحتى رأس الهرم بدءاً بالفروع المحلية التي انتخبت عنها ممثلين على المستوى الإقليمي سيتولون بدورهم إرسال ممثلين إلى المؤتمر العام. 128 وبعد

123 يُعد مؤتمر عام حركة فتح، الذي يُفترض أن يُعقد كلّ خمس سنوات، أعلى هيئات الحركة التي يُناط بها اتخاذ القرارات والتي تقرر بشأن قيادة الحركة وبرنامج عملها السياسي. وانعقد المؤتمر العام الأخير عام 1989.

Crisis Group interview <sup>128</sup> فادة فتح في المناطق، الضفة الغربيّة، حزير ان/يونيو، تشرين الأول/أكتوبر، وتشرين الثاني/نوفمبر 2008. يُشكل الممثلون المنتخبون جزءاً فقط من تشكيلة المجلس،

انتخاب القيادة الإقليميّة الجديدة قال أمين عام الخليل، "تستحيل قتح حماس الجديدة. نحن ننطق بصوت واحدٍ في حين تُلاحظ التصدعات في صفوف حماس". <sup>29</sup> ويعترف المتفائلون باستمرار وجود العقبات ولكنّهم على قناعةٍ بأنّ القيادة الراسخة التي سعت طويلاً للحيلولة دون التغيير، أي من يُمثل منها في اللجنة المركزيّة – إلى انحسار. وعلى ضوء انتخابات الضفة الغربيّة وبحسب قائدٍ إقليمي، "يشهد الواقع حركة فعليّة ولن يتمكن المتباطئون من المقاومة لفترةٍ طويلةٍ" (130، وهم يشعرون يتمكن الساعة أنّهم ينعمون بدعم عبّاس. وفي حين كان يُنظر إلى حتى الساعة أنّهم ينعمون بدعم عبّاس. وفي حين كان يُنظر إلى الأخير على أنّه عائق في وجه التغيير، "ها هو يسير صوبنا". <sup>131</sup>

وإذا وجب التلطيف من فيض التشاؤم، فيجب أيضاً لجم التفاؤل. فحتى الساعة لم يُتخذ أي قرار بشأن المؤتمر العام أو موعد ومكان انعقاده وجدول أعماله وعدد الممثلين فيه وكيفيّة اختيار هم. 132 ولا شك أنّ الخلاف حول الخطوات التمهيديّة والشؤون التقنيّة يُعتم على المناوشات بين الفصائل المختلفة والتي تسعى لكسب أحكام مؤيدة لها. 133 وتستمر الخصومات الشخصيّة في تحطيم الحركة وتكثر الأخبار عن وجود مجموعات شظايا وفرعيّة. 134 وخلص مراقب سياسي مستقلّ في نابلس إلى القول إنّ "الفوضى تعمّ صفوف فتح". 135

#### ب. من منظور حماس

#### 1. التعويل على الوقت

وعلى غرار الرئيس، لم تبدِ حماس استعجالاً للتوصل إلى اتفاق سريع ما لم تستوف أهدافها الأساسية على اعتبار أنها تستطيع كسب المزيد ببذل القليل إذا تأخرت المصالحة. ويمثل الاتفاق اليوم العديد من السيئات. ونظراً لانخفاض درجة الشعبية، الذي

وشكّل وضع معايير اختيار ما تبقى من الأعضاء، وتحديد حصّتهم من المجموع، أحد أكثر المواضيع إشكاليّة.

Crisis Group interview 124، نابلس، أيلول/سبتمبر 2008.

Crisis Group interview 125، رام الله، أيلول/سبتمبر 2008.

http://www.jmcc.org/publicpoll/results/2008/66-bttp://www.jmcc.org/publicpoll/results/2008/66-bttp://www.jmcc.org/publicpoll/results/2008/66 كما يُشير قادة فتح إلى الانتخابات الجامعية على أنها مؤشر لنجاحهم ولكن يمكن لهذه الأخيرة أن تكون مضللة. وفي جامعة الإسلامية المتعاطفين غير المنتسبين ضرورة إلى حماس، تعرضوا على ما يُزعم للتوقيف قبل الانتخابات فقاطع الإسلاميون الانتخاب؛ ويُنقل عن مشاركة حفنة فقط من الطلاب في الانتخابات. Crisis المتعاركة عند فقط من الطلاب في الانتخابات المتعاركة الأولىديسمبر Group interview مسؤول في جامعة النجاح، نابلس، تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وبحسب روايات عدّة، قامت الأجهزة الأمنية باعتقال بعض الطلاب الذين يرتدون الأوشحة الخضراء أو الذين رفضوا التصويت. Crisis Group interview، طلاب جامعة النجاح، نابلس، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview 129، كفاح العويوي، أمين عام فتح في الخليل، 22 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>130</sup>، قائد من فتح، رام الله، تشرین الثانی/نوفمبر 2008.

<sup>131</sup> Crisis Group interview، هيثم الحلبي، أمين عام فتح لمنطقة نابلس، 26 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>132</sup>، قائد من فتح، رام الله، تشرین الأول/أكتوبر 2008.

<sup>133 &</sup>quot;إذا أصر لبو مازن على السير بالأمور على طريقته، فلم نشعر بضرورة الالتزام بقراراته?" Crisis Group interview، قائد من فتح، رام الله، تشرين الأول/أكتوبر 2008.

أنتخابات نابلس المناطقية، حشدت اللوائح الانتخابية سكان المدينة ومخيّمات اللاجئين والمناطق الريفيّة المجاورة ضدّ بعضهم المعض وحدت الاتهامات بعدم نزاهة الانتخابات الفرعيّة في القرى البعض وحدت الاتهامات بعدم نزاهة الانتخابات الفرعيّة في القرى بأفراد فتح إلى مقاطعة انتخابات الأمانة العامة المناطقيّة ورفض الاعتراف بالنتائج. Crisis Group interview، قائد من فتح، نابلس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. ويُلاحظ وجود أمثلة عن خصومات شخصيّة أو فصائليّة في مواقع أخرى أيضاً. Crisis الثاني/نوفمبر ورام الله، تشرين الله فمبر 2008.

Crisis Group interview 135، نابلس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

يُعزا جزئياً إلى عجز حماس عن الحكم بفعاليّة وإلى إتباعها تكتيكات صارمة في غزّة، قد لا تشكل الانتخابات المبكرة أفضل الحلول لها في الوقت الراهن. 136 وبحسب قراءة الحركة للمقترحات العربيّة حول إعادة هيكلة الأمن، يصبّ التركيز بدرجة كبرى على غزّة، وتشكك بالتالي الحركة في إمكانيّة أن يطال الإصلاح الضفة الغربيّة التي شهدت انتشار قوّات أمن مدرّبة برعاية أمريكيّة.

وبالفعل يبقى المسؤولون في السلطة الفلسطينيّة ورؤساء الأمن معارضين لضمّ حماس إلى أجهزة الأمن في الضفة الغربيّة 137 ولم تتمكن التدابير المشددة من إقناعهم بعكس ذلك فحتى لو غيّرت السلطة الفلسطيّنيّة رأيها، تردد أعضاء حماس في الانضمام خشية التعرّض لاعتقال إسرائيل. وبتعابير أخرى، حتى في حال التوصل إلى اتفاق مع فتح، لا يُمكن لحريّة حماس العمل في الضفّة الغربيّة إلا أن تتوسّع جزئياً. 138 فهي لا تثق بأن فتح ستسمح لها بالانضمام إلى منظمة التحرير الفلسطينيّة وهي الجائزة الكبرى. 139 وباختصار، تعني مخاطر المصالحة فقدان السيطرة على غزّة في مقابل تنازلات وهميّة.

وعلى صعيدٍ آخر، يثق المسؤولون في حماس بأنّ الكفة ستميل لصالحهم. فالضغوط في غزّة (حيث تشدد مصر الرقابة على الأنفاق مع أنّ المفعول محدود حتّى الساعة) 140 وفي الضفة

136 وفي ما يبدو على أنه مشاعر مشتركة، قام أحد القادة البلديين المستقلين الذين تجمعه روابط عائلية بكلّ من حماس وفتح بتوجيه الانتقادات إلى الحركتين. وقال بشأن حماس "إنّ امتعاض الشعب من فتح لا يعني محبته حماس. فما فعاته في غزّة كان عنيفا وما أقدمت عليه منذ ذاك ولاسيّما تعاطيها مع المعارضة كان عنيفا هو الآخر. فعندما تنظرون إلى بلديّة نابلس [التي تُعدّ بقيادة حماس مع أنّ مستشاري البلديّة ينفون أي صلة]، ترون أنّهم لا يجيدون إدارة الأمور. لعلهم يجيدون إدارة الأمور. يُديرون السلطة الفلسطينيّة. ولكن نظراً لكون فتح لا تمثل حلاً بديلاً، يُديرون السلطة الفلسطينيّة. ولكن نظراً لكون فتح لا تمثل حلاً بديلاً، يُمكن لحماس أن تفوز في الانتخابات المقبلة". Crisis Group

137 وأفاد العديد من مسؤولي الأمن في الصفة الغربية لمجموعة الأزمات أنهم لا يوصون بضم أي شخص يُشتبه بتعاطفه مع حماس إلى عديدهم: "باتت الثقة في عداد الأموات و لا يُمكن تجديدها بمجرد التوقيع على ورقة. حتى ولو توصلنا إلى اتفاق مصالحة، أنصح بأن تمضي سنوات قبل ضم أي من مؤيدي حماس". Crisis Group مسؤول أمن فلسطيني، الضفة الغربية، أيلول/سبتمبر 2008. أبدى قادة حماس وكتائب القسام استعدادهم التفكير في إعادة ضم موظفي فتح وطالبوا باستبدال مسؤولي الأمن التابعين للسلطة الفلسطينية الذين يعتبرونهم معادين. Crisis Group interviews مسؤولون أمنيون، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2008.

Crisis Group interview <sup>138</sup> الأول/أكتوبر 2008.

139 أوضح قائد رفيع المستوى "بأنّ منظمة التحرير الفلسطينيّة أهمّ شأناً من السلطة الفلسطينيّة. وحتّى ولو خسرنا الانتخابات لصالح الأخيرة في مرحلة من المراحل، فالخسارة ليست بأهميّة كسب منظمة التحرير الفلسطينيّة". Crisis Group interview، غـزّة، تـشرين الثاني/نوفمبر 2008.

140 ولقد شُلُلَ نسبيًا دفق السلع عبر الأنفاق منذ أن رفضت حماس الذهاب إلى القاهرة ولكنّ أحد قادة فتح في غزّة تذمّر لكون مصر لا

الغربية (حيث تغرض السلطة الفلسطينية تدابير صارمة) معترف بها ولكن الحركة ترى أنها قادرة على إدامة وجودها وأن الظرف إلى تحسّن. بتاريخ 9 كانون الثاني/يناير 2009 ستنتهي ولاية الرئيس عبّاس مما يلقي لطخة إضافية على شرعيّته. وبحسب حماس، منظمة التحرير الفلسطينية مشلولة أصلاً "جسم ميت يجب إعادة إحيائه" أي غير مشروعة. 142 أمّا هيئاتها الأساسيّة الثلاث (المجلس المركزي، اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني الفلسطينيّ) فلم تؤدّ بعد المهام الملقاة على عاقتها وليست عضويتها واضحة ولم يختر أيّ منها أعضاء جدد في خلال العقد المنصرم 143. ومن هذا المنطلق، حماس مستعدة للطعن بشرعيّة عبّاس كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينيّة 144

خلافاً للوضع السائد منذ سنة أشهر، يتأمل قادة حماس علناً بشأن الحقبة اللاحقة لولاية عبّاس التي يُمكن في خلالها تحسين العلاقات مع فتح. 145 وبحسب أحدهم "المصالحة حيوية وقد تُبرم مع خلف أبو مازن". 146 أمّا تهديد الرئيس بعقد انتخابات فلا يرقون له جفناً. وقال قائد من غزة "عن أي انتخابات يتكلمون؟ عندما يلقي عبّاس بالمعارضة في السجن؟ لن يحظى بأي توافق ولا بغالبيّة الأصوات أو بانتخابات ديمقر اطيّة". 147

أمّا قراءة حماس لمستقبل فتح فسلبيّة هي الأخرى، حيث ترى أنّ الحركة الخصم تفقد الزخم والحسّ بالهدف 148، وتلتمس تلاحماً في التعاون الأمني بين السلطة الفلسطينيّة وإسرائيل، ما سيجعل السلطة ستبدو في مظهر المتعاون مع المحتل. ومن غير المفاجئ أن يختلف قادة حماس مع قادة فتح وإسرائيل بشأن قدرة الحركة. فقد أكّد قائد في طولكرم إنّ الحركة ما زالت قادرة على حشد التظاهرات والبدء بعمليّة "إعادة إعمار" عسكريّة في غضون ساعات وأن تعين قادة وقياديين جدد في غضون أيام ليحلوا بديلاً عمن جرى اعتقالهم. 149 وادعى مراقب سياسي مستقل آخر تضمّ عائلته المقرّبة أفراداً من حماس إنّ الحركة الإسلاميّة لا تزال ناشطة في قرى الضفة الغربيّة حيث تأثرت بدرجةٍ أقل بمطاردة السلطة الفلسطينيّة. 150

تفرض تدابير مشددة كفاية. Crisis Group interview، مدينة غزة، كانون الأول/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview 141 مسؤول رفيع المستوى في حماس، مدينة غزّة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interviews 142 مسؤولون في حماس، دمشق ومدينة غزّة، تشرين الأوّل/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>143</sup> مقابلة هاتفيّة أجرتها مجموعة الأزمات، محلل سياسي فلسطيني، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>144</sup>، مسؤول في حماس، دمشق، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview  $^{146}$  غزة، تشرين الأول/أكتوبر 2008.

Crisis Group interview 147، قائد رفيع المستوى في حماس، غزة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>&</sup>lt;sup>148</sup> المرجع نفسه.

Crisis Group interview 149، طولكرم، تشرين الأول/أكتوبر 2008.

Crisis Group interview 150 ، نابلس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

وعليه، نفى جميع قادة حماس في الضفة الغربيّة الذين تحدثت معهم مجموعة الأزمات نيّة الحركة في توظيف قدراتها. وقال عضو من حماس في المجلس التشريعي: "إننا نمارس ضبط النفس في وجه حملة شعواء تُشنّ في وجهنا. فلم نقوم بالاعتداء الآن؟ هدف حماس الإعمار لا الدمار". 151 وقال قائد من حماس، "إذا انتظرنا، ستقع الضفة الغربيّة بين يدينا وسوف يضمحل كلّ من فتح والسلطة الفلسطينيّة". 152 كما تعزى حماس النفس بضرب من المزاح سمعته في نابلس:

"أوَّلاً أحدثت القيادة الفلسطينيّة المشاكل في الأردن، فألقى بها خارجاً، ثم أحدثت المشاكل في لبنان ولقيت المصير نفسه. وأحدثت المشاكل في غزة وأفظت منها لذا لن يكون مصيرها في الضفة الغربيّة من باب المفاجآت". <sup>153</sup>

وما يزيد من ثقة حماس إيمانها بأنّ المحادثات بين عبّاس ورئيس الوزراء الإسرائيلي لن تفضي إلى أي نتيجة 154؛ وحيث تثق بأن مصيرها كان الفشل إبّان أولمرت فما عساه يكون إذا كان نتنياهو

وتؤمن حماس على ما يبدو أنّ عددًا متناميًا من الفعاليّات الدوليّة سوف يُسلم لديمومة الحركة ويُبايعها ولو بحذر. رغم شعور الإسلاميين بالأسف وحتى بالغضب لما خرج به اجتماع جامعة الدول العربيَّة إلاَّ أنَّهم يُذللون أهميَّته. ويرون أنَّ سوريا وقطر واليمن والسودان والجزائر سوف تستمر بمقاومة جهود تحديد الاتهامات. 155 لا بل يصل الأمل الحذر بهم إلى الولايات المتحدة رغم وعيهم أنّ انتخاب أوباما لن يُثمر تغيّراً سريعاً في المواقف حيال الحركة ولكنهم يتكهنون أنّ الإدارة الجديدة سوف تتبع شيئاً فشيئاً مساراً براغماتيّاً وعمليّاً. 156

والوضع قابل للاحتمال في غزّة. وكما أفادت مسبقًا مجموعة الأزمات، يبدو أنّ الوضع الأمني تحت السيطرة ولقد سددت رام

الفلسطينيّة، كما كانت الحال في شهر كانون الأوّل/ديسمبر، نظراً للنقص الشديد في العملة في غزّة.

الله الأجور (مدعومة بموازنة سنويّة لحكومة غزّة قدر ها 15-20

مليون دو لار أمريكي) 157؛ في حين تتشكل نخب اقتصاديّة جديدة

أكثر تعويلاً على الحركة وتستمر الأنفاق بالعمل. 158 وحيث يعي

قادة حماس معاناة سكان غزة وسخطهم، يلقون بالملامة على العالم الخارجي وينسبون لنفسهم الإنجازات المحققة رغم الحصار وبتعابيرهم "نعم يُريد الشعب أكثر ولكنّه يعرف أنّ أحداً لا يمنحنا

حتى في وجه الأزمة المصرفيّة غير المسبوقة والتي تعزا إلى

نقص في العملة، لعن زبائن غاضبون الرئيس عبّاس صاحبين في معيّته رئيس وزراء غزّة إسماعيل هنيّة. 160 وتذمّر مسؤول

مالى في السلطة الفلسطينيّة من أنّ سياسية إسرائيل زادت من عائدات حكومة حماس بما أنه نظراً لإقفال المصارف، بات

المكان الوحيد للحصول على النقد هو الصرافة الذين يتعاونون مع حماس، على ما يدعيه الما وفي بادرة ثقة، رحبت حماس في

شهر تشرين الثاني/نوفمبر بعودة أحمد حلس، قائد من فتح ورئيس

أحد أكثر عشائر غزّة نفوذاً، والذي كان قد غادر غزّة تحت قصف حماس في شهر آب/أغسطس. ولا شك في أنّ نسبة المشاركة الكثيفة في تظاهرة شهر كانون الأول/ديسمبر للاحتفال بعيد

حماس الحادية والعشرين قد ساهمت في رفع معنويّات الحركة. 162

وفي تقرير سابق لمجموعة الأزمات، أبقت سلطات غزة السيطرة

بإتباع سبلٍ أكثر قمعاً. وبعد أن ادعت حماس الإفراج عن جميع

السجناء السياسيين قبل حوار القاهرة، استأنفت حملة الاعتقالات

بعد فشل المحادثات. واعتقلت الحكومة 30 من أفراد فتح الذين

فرصة. هذا وكان أمام فتح عشر سنوات ولم تفعل شيئًا". 159

158 تقرير مجموعة الأزمات للشرق الأوسط رقم 73، الحكم في فلسطين 1: غزة تحت سيطرة حماس، الصادر بتاريخ 19 أذار/مارس 2008، والورقة الموجزة رقم 24، *الجولة الثانية في غزة*، الصادرة بتاريخ 11 أيلول/سبتمبر 2008. ومراجعة Crisis Group interview، مسؤول رفيع المستوى في حماس، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview 159، قائد رفيع المستوى في حماس، غزة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

160 ملاحظات مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الأوّل/ديسمبر

Crisis Group interview 161 مسؤول في السلطة الفلسطينية، أيلول/سبتمبر 2008. وعندما ظهرت المشاكل للمرة الأولى في أيلول/سبتمبر، أعرب بعض المسؤولين في السلطة الفلسطينيّة عن قلقهم من أن تُسرّب حماس الدو لارات بواسطة الأنفاق مما يؤدي إلى "دولرة" اقتصاد غزة وتنامي الشرخ مع الضفة الغربيّة. Crisis Group interview ، مستشار لرئيس الوزراء فياض، رام الله، أيلول/سبتمبر 2008.

162 قدّر أحد العاملين في مجموعة الأزمات الحضور بأكثر من 200000 شخص، مقابل 350000 للمسوؤلين في حماس وعددٍ أكبر للتلفزيون الإسرائيلي. حضر التظاهرة فلسطينيّون من جميع المشارب، لا سيّما منهم الفقراء، الذين رحّبوا بقدرة الحركة الإسلاميّة المستمرة على تلبية حاجاتهم الاجتماعية رغم الحصار. Crisis Group interviews، مشاركون في النظاهرة، مدينة غزّة، 14 كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

Crisis، الصفة الغربيّة، تـشرين Group interview <sup>151</sup> الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview 152 ، قائد رفيع المستوى في حماس، مدينة غزّة، 6 حزير ان/يونيو 2008. وبهذا يُحدّر بعض المسؤولين من أنّ التحريض لن يمرّ بدون ردّ: "عندما تدفعون بالقطة إلى الزاوية تنقض عليكم. دفعت السلطة الفلسطينيّة بنا إلى الظلمة في غزّة عام 1996، فازددنا قورَّة. وسيحصل الأمر نفسه في الضفة الغربيّـة". Crisis Group interview ، قائد في حماس، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview 153 أستاذ في جامعة النجاح، نابلس، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview 154، قائد في حماس، دمشق، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

155 يُعتقد بعض قادة حماس أنّ الأردن قد تسير خطوةً إلى الأمام. "لقد أتوا إلينا" يقول أحد القادة بالإشارة إلى المحادثات بين حماس وضباط الاستخبارات الأردنية في شهر آب/أغسطس 2008. "يرون أنه من مصلحتهم الوطنيّة عدم استعدائنا سيّما وآن عبّاس يبدو ضعيفًا للغاية في الضفة الغربيّة". Crisis Group interview، قائد في حركة حماس، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview 156، قائد رفيع المستوى في حماس، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

157 وتنزلق الأسواق في غزّة نحو التباطؤ عندما لا تُسدد أجور السلطة

كانوا ينوون الاحتفال بذكرى وفاة ياسر عرفات بتاريخ 11 تشرين الثاني/نوفمبر؛ كما يُنقل عن كون حماس طاردت من ارتدى كفيّة عرفات بلونها الأسود والأبيض في ذلك اليوم. 163 وفي أوائل شهر كانون الأوّل/ديسمبر، قدّر مراقبون في منظمات حقوق الإنسان عدد المعتقلين لدى حماس بـ 58 سجينا سياسيًا وعدد الموقوفين "رهن التحقيق" بحوالى 50 آخرين. 164 هذا واستمرّت التكتيكات الصارمة المتبعة في مناطق أخرى وأصرّت الحكومة على تغيير مجلس جامعة الأقصى 165 الذي تسيطر عليه فتح وعلى تغيير إدارة الجامعة بينما تدخلت بعنف لوقف تظاهرات الطلاب. 166

ومن العوامل الحاسمة الأخرى المؤثرة في وضع غزة وقف اطلاق النار المتقطع مع إسرائيل. فبعد صمود دام تقريباً مدة أربعة أشهر ونصف، تعرض وقف إطلاق النار لأكثر الخروقات خطورة يوم 4 تشرين الثاني/نوفمبر بعد أن توعّلت القوّات الإسرائيليّة في غزّة لتدمير نفق عابر للحدود كان يُمثل، بحسب تعبير إسرائيل، خطراً على جنودها. 167 ومن المتوقع أن ينتهي وقف إطلاق النار بتاريخ 19 كانون الأوّل/ديسمبر وحتى الساعة لم تتكلل المفاوضات التي تتوسّط لها مصر بالنجاح. وأبدى أحد مسؤولي حماس تشاؤماً حول آفاق تجدده وقال:

وافقنا على الهدنة منذ ستة أشهر للحدّ من معاناة شعبنا. ولكن ما أن وصلنا إلى التطبيق حتى فعلت إسرائيل ما يخدم مصالحها. وارتكبت 150 انتهاكا بحقنا ولقد أعلمنا مصر بالأمر. كما أنّها لم تف بتعهداتها لناحية تدفق السلع مثل الغاز والاسمنت والنفط الخ. وأعتقد أنّ معظم الفصائل ترفض في هذه اللحظة التمديد بما أنّ إسرائيل ليست تطبق الشقّ المتعلق بها في الصفقة. 168

الأوّل/ديسمبر حين قال إنه لم يكن يتوقع تجديد وقف إطلاق النار. واوضح قادة في دمشق أنّ تجدد وقف إطلاق النار قد يقتضي ضمانات لرفع الحصار. وفي حين تستمر مصر في التوسط بين حماس وفتح، لا يزال مصير وقف إطلاق النار غير محدداً. Crisis Group interview، مصير وقف إطلاق النار غير محدداً. 2008. قادة من حماس، مدنية غزة، دمشق، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

ولكن مع أنّ بعض مناصري حماس يرون في الهدنة خسارة

صرف 169، إلا أنّ معظم المراقبين يعتبرون أنّ لكلا الطرفين

مصلحة في تمديد التفاهم: حماس لأنها ترغب في تدعيم سلطتها، وإسرائيل لأنها لم تستجب كما يجب لاستمرار أعمال العنف 170

وفي الأثناء، يفتل كلّ عضلاته ويسعى لإبراز قدرته على إنزال

الصُعوبات وعلى عدم تسريب رغبة في تحقيق هدنة. 171 كما ترغب حماس في الحرص على أن يتضمن التمديد إعادة فتح

معابر غزة مع إسرائيل. 172 ويرى القادة أنّ إسرائيل لا ترغب في

ويشرح كلّ هذا توافق الحركة على أنّ الوقت يصبّ في

مصلحتها. وقال قائد رفيع المستوى في غزة اعترافاً منه بالصعوبات وإنما إيماناً منه بأنّ الثبات سيؤتى نتيجة "أنتم في

نفق طوله 500 متر. تصلون إلى نقطة الوسط وتشعرون بالإرهاق. أمامكم خياران، العودة إلى الصفر أو مواصلة الجهود

شنّ عمليّة واسعة على الأرض قد يترتب عنها خسائر بشريّة كثيرة. <sup>173</sup> وعليه، ما وصفه مسؤول أمني إسرائيلي بلعبة "تقاذف الكرة" عبر حدود غزّة <sup>174</sup>، قد يخرج وبسهولة عن السيطرة.

169 عارض بعض أفراد كتائب القسام الهدنة منذ البداية. وبدا البعض منهم مسروراً بالغارة التي شنتها إسرائيل يوم 4 تشرين الثاني/نوفمبر 2008 على نفق غزة لأنها خولتهم استنناف القتال. Crisis Group مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

170 قيّم مسؤول إسرائيلي الوضع قائلاً "تُعدّ القوى المهتمة بتجدد وقف إطلاق النار من كلا الطرفين أكثر قوّةً من القوّات المعارضة لها". Crisis Group interview القدس، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. Crisis Group interviews 171

كانون الأوّل/ديسمبر 2008. Crisis Group interview 172 قائد رفيع المستوى في حركة حماس، مدينة غزّة، كانون الأوّل/ديسمبر 2008.

173 كناس مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008. وكان يُشير في حديثه إلى العبء البشري والمالي مع الإشارة إلى مقالة صدرت بتاريخ 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2008 مع الإشارة إلى مقالة صدرت بتاريخ 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2008 في صحيفة هآرتز جاء فيها إنّ كلفة اجتياح غزة تُقدّر بـ17 مليون شيكل [ ما يُعادل 4.3 مليون دو لار] في اليوم. وبصورة عامة، يوافق مسؤولو الدفاع في إسرائيل على أنّ اجتياح غزة مغامرة خطرة تترتب عنها مخاطر جسيمة لتحقيق مكاسب غير مؤكدة لا بل نتائج غير أكيدة. الأول/ديسمبر 2008 وعليه، يُحذر البعض من فيض ثقة حماس. "لن لأول/ديسمبر 2008. وعليه، يُحذر البعض من فيض ثقة حماس. "لن حماس ولا أعتقد أن إسرائيلي بالمهمة اليسيرة ولكن إذا وقع فسيتم تدمير حماس ولا أعتقد أن إسرائيل تقدر تقديراً واقعيًا ميزان القوة" Crisis (Group interview الثاني/نوفمبر 2008. يلفت خبير أمني إسرائيلي إلى أنّه لإسرائيل حلول بديلة عن اجتياح كامل بما في ذلك تصعيد التو غلات. Crisis (Crisis)، ثل أبيب، تشرين الثاني/نوفمبر 2006.

Crisis Group interview 174 ، تل أبيب، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview  $^{163}$ ، أعضاء من حركة فتح، مدينة غزّة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview 164 عامل في حقل حقوق الإنسان، مدينة غزّة، كانون الأول/ديسمبر 2008.

<sup>165</sup> تدوم و لاية أعضاء مجلس الجامعة سنة ولكن أعيد تعيين المجلس على التوالي في خلال السنوات الثلاث المنصرمة. وجميع أعضاء المجلس من مناصري فتح. يوم 4 تشرين الثاني/نوفمبر، مدد رئيس الجامعة علي أبو زهري و لايته لسنة جديدة. ورفضت وزارة التعليم في غزة التمديد مُصرة على أن تنسق الجامعة التعيينات معها بما أنّ جامعة الأقصى مؤسسة عامة. وخشية أن تقوم الحكومة بإقفال الجامعة، شكل زهري المجلس الجديد المؤلف من تسعة أعضاء من فتح مقابل ستة لحماس. ورفضت وزارة التعليم التسوية وطالبت بتعيين أشخاص توافق عليهم الوزارة مثل نائب رئيس الشؤون الأكاديمية والإدارية. توافق عليهم الوزارة مثل نائب رئيس الشؤون الأكاديمية والإدارية. تشرين الثاني/نوفمبر Crisis Group interview تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

166 يوم 25 تشرين الثاني/نوفمبر، دخلت الشرطة حرم الجامعة وفرقت تظاهرة طلابية وألحقت إصابات في صفوف الطلاب. المرجع نفسه. تظاهرة طلابية وألحقت إصابات في حماس عملهم على بناء نفق، ولكنهم يدعون أنّ إسرائيل لم تصب الهدف وأنهم يتمتعون تالياً "بالحقّ في حشد طاقتهم والاستعداد لم قد يأزف مستقبلاً". Crisis Group interview، غزة، 6 كانون الأول/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview 168 مسؤول في حماس، غزة، 6 كانون الأوّل/ديسمبر 2008. عبّر خالد مشعل رئيس مكتب حماس السياسي عن هذه المشاعر في مقابلةٍ أجراها مع محطة القدس بتاريخ 14 كانون

إلى الأمام. ولخياركما ثالث هو الصبر والاستراحة وجمع القوى ومن ثمّ المتابعة". 175 وأضاف أحد زملائه قائلا:

لسنا بحاجة إلى المصالحة مع فتح الآن. لا بل إننا جد مرتاحين على الأرض، نفعل ما نشاء، ولا يُضايقنا أحد، ولا نعاني مشكلة الفساد. وفي بضعة أشهر، يُصبح أبو مازن الرئيس السابق. ونحن أقوياء سياسيّاً في الضفة الغربيّة. تلقينا ضربات موجعة من فياض وأولمرت ونخضع للضغوط. ولكن حكومة رام الله فشلت في حماية شعبها، وتحرير الأرض أو مساعدة الشعب على الدفاع عن نفسه. ولهذه الأسباب تبقى قاعدتنا المساندة متينة. 176

ومع أنّ قرار حماس مقاطعة محادثات القاهرة لم يكن متوقعاً بيد أنه لم يكن مفاجئاً بكلّ ما للكلمة من معنى. وحيث خططت حماس للحضور في أوّل الأمر، رأت أن بإمكانها خنق المحادثات على مستوى اللجنة إذا لم تعجبها الإجراءات. ولكنّ عبّاس (من خلال حملة الاعتقالات) ومصر (عبر رفضها إدخال تغييرات أكثر شموليّة على طرحها) وإسرائيل (عبر رفضها انضمام سكان الضفة الغربيّة إلى الوفد) وقرت على حماس مشقة العناء. وبعد ذلك، علل قادة حماس قرارهم والذي يُمكن قراءته على أنه أحد أسباب استئناف المحادثات. طلب قادة حماس إطلاق سراح جميع المعتقلين من الحركة والجهاد الإسلامي في الضفة الغربيّة؛ ومشاركة أفراد من الضفة الغربيّة في أي محادثات مصالحة؛ والمساواة في المعاملة بين فتح وحماس في الاجتماع. 177 كما محصر عادة حماس الحوار مع فتح طالما أنّ التعاون الأمني مستمر بين السلطة الفلسطينيّة وإسرائيل بما أنّ حماس في ظلّ مستمر بين السلطة الفلسطينيّة وإسرائيل بما أنّ حماس في ظلّ مشتهدة المقروف سوف تظلّ مستهدفة. 178

وفي ما يُمكن تفسيره على أنّه مؤشر يعني أنّ الحركة تتوقع استمرار الوضع السائد والانشقاق بين الضفة الغربيّة وقطاع غزّة، قام محمود الزهار، قائد رفيع المستوى في حماس، بتصريح مفاجئ غير معهود مدعيا أنّ حماس "يُمكن أن تُنشئ دولة على أي شبر من الأرض المحررة من دون الاعتراف أو التنازل عن أي شبر آخر أو من دون الاعتراف بسيادة الكيان الصهيوني على أي شبر ". <sup>179</sup> ووضتح مسؤول رفيع المستوى في الصهيوني على أي شبر ". <sup>179</sup> ووضتح مسؤول رفيع المستوى في حماس فحوى التعليق الجدلي بالقول "نستطيع أن تقيم دولة على أقل من حدود العام 1967. ولكن عندما تتغيّر الظروف سنأخذ مزيداً من الأرض. فالضفة الغربيّة منفصلة الآن عن غزّة شأنها في ذلك شأن أراضي العام 1948 [إسرائيل]". <sup>180</sup>

وفي خلال هذه الفترة، صدرت تقارير متكررة حول تصدع صفوف الحركة. ولا شكّ أنّ الوضع الراهن قد أفرز توترا ملموساً. فمنذ عمليّة حزيران/يونيو 2007، تباينت المصالح: فبالنسبة لمن هم في غزّة، تقضي الأولويّة بالتمسك بالسلطة وبالسيطرة؛ أمّا بالنسبة لمن هم في الضفة الغربيّة، يجب الحدّ من تدابير السلطة الفلسطينيّة المشددة، ولمن هم في الشام يجب وضع جدول أعمال شامل وتطبيقه بحيث تكون النتيجة زيادة النفوذ في الحركة الوطنيّة ككلّ. واعترف قادة حماس سرّاً بمشاكل الحركة الداخليّة وبالصعوبات التي تعيق القرار التوافقي، حتى أنّهم انتقدوا بعض القرارات والقادة. [181] أمّا قادة الضفة الغربيّة فقد أبدوا شكوكهم بأن يشكل اعتقال أفراد فتح في غزة رادعاً لاعتقالهم في الضفة الغربيّة إلى مقاومة في الضفة الغربيّة إلى مقاومة اعتقالات السلطة الفلسطينيّة وعمليّات مصادرة الأسلحة. [183]

ولكن كما كانت الحال دوماً، يُمكن تعظيم الانشقاقات وإساءة تقسيرها. على سبيل المثال، أشار تقرير صادر في الصحافة الإسرائيليّة إلى مستند سرّي "يعكس شرخاً عظيماً بين قيادة المنظمة في الخارج وفي الضفة الغربيّة في مقابل القيادة في غزّة". 184 وبحسب المستند، يشكل عدم استعداد قيادة غزّة للتنازل عن السيطرة في القطاع سبباً لتداعي المحادثات في القاهرة وقد أدّى إلى توتر الوضع مع المعسكر في الخارج وفي الضفة الغربيّة. 185 صرف قائد حماس كليّا التقرير، قائلاً بأنّه يُسيء فهم عمليّة اتخاذ القرارات في داخل الحركة وهزأ به لاعتباره "فبركة مضحكة ثبرر ممارسة مزيدٍ من الضغوط على غزّة. فرضاً أنّ مضحكة ثبرر ممارسة مزيدٍ من الضغوط على غزّة. فرضاً أنّ هذا صحيح، فهل نحن من الغباء بحيث نضعه كتابة 18608

كما ورشحت تقييمات متضاربة. وبحسب البعض، كانت قيادة غزة، التي تعوّل بدرجةٍ كبيرةٍ على مصر لأسباب اقتصادية وغيرها، أقل ميلاً إلى استعداء مصر في حين أبدى مسؤولون من الضفة الغربية معارضة شديدةً لمحادثات الوحدة طالما أنّ أفراداً

الحركة الإسلاميّة. رأى بعض المسؤولين أنّ بيان الزهار ليس سوى تكرار لرغبة الحركة في عقد هدنة مع إسرائيل شريطة انسحابها إلى حدود العام 1967 من بين أمور أخرى. Crisis Group interview ، مسؤول في حماس، غزّة، 6 كانون الأول/ديسمبر 2008.

Crisis Group interviews <sup>181</sup>، غزة، الضفة الغربيّة، دمشق، أيلول/سبتمبر – كانون الأول/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview 182، الصفة الغربيّة، تـشرين الوُل/أكتوبر 2008.

<sup>183</sup> وادعى مشير المصري مشرع في حماس وناطق باسمها في تظاهرة يوم 7 تشرين الثاني/نوفمبر 2008 بأنّه إذا استمرّت الأجهزة الأمنيّة في السلطة الفلسطينية بمصادرة الأسلحة، لن تقف حماس مكتوفة الأيدي بل "ستفرض ثمناً"؛ وأو عز كبير البرلمانيين خليل الهيا إلى كوادر حماس مقاومة الاعتقالات، صحيفة Jerusalem Post الشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>184</sup> صحيفة هآرتز، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>185</sup> بحسب صحيفة هآرتز، جاء في المستند السرّي الصادر عن القيادة في دمشق إنّ القيادة في غزّة "غير مستعدّة بعد للحوار وأنّ ظروفاً تعجيزيّة تفرض وأنّ الشرخ [أي وضع حماس يدها على غزّة] بات جديّا وما عاد يُنظر إليه على أنّه غير منشود. المرجع نفسه.

Crisis Group interview 186، مسؤول رفيع المستوى في حماس، غزة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview  $^{175}$  مدينة غرّة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>176</sup>، قائد رفيع المستوى في حماس، مدينة غزة، 5 حزير ان/يونيو 2008.

Crisis Group interview أدة رفيعو المستوى في حماس، مدينة غزّة، تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأوّل/ديسمبر 2008.

Crisis Group interview 178، قائد رفيع المستوى في حماس، مدينة غزّة، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

<sup>179</sup> صحيفة الأيام، 28 تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interview <sup>180</sup>، غزّة، 6 كانون الأوّل/ديسمبر 2008. من غير الواضح ما إذا كان هذا الموقف يعكس تغيّر موقف

منهم لا يزالوا وراء القضبان. <sup>187</sup> وأخذ آخرون لا سيّما المصربين على سوريا ممارسة الضغوط على قيادة حماس ومقرّها دمشق كيلا تحضر المحادثات. <sup>188</sup> وحيث يعترف مسؤولون في حماس أن الاتصالات وعمليّة اتخاذ القرارات باتت "أكثر صعوبة من ذي قبل" <sup>189</sup>، إلا أنّهم يصرّون على أن يُسمح لمسؤولين من دمشق وغزّة والضفة الغربيّة بالمشاركة في أي محادثات مستقبليّة.

## IV.خلاصة

ليست الوحدة الوطنيّة التي يدعي كلّ من فتح وحماس العمل في سبيلها مدرجة على جدول أعمال اليوم. فالحركتان تركّزان على تدعيم مواقفهما ويُمكن للأحداث أن تعمل لنصرة أهدافهما. والمافت أنّ هذا المنحى يتجلّى بينما يعترف عدد متزايد من الفعاليّات الخارجيّة ضمناً بعدم تماشي انعدام الوحدة الفلسطينيّة مع عمليّة سلام مستدامة وجديّة بين إسرائيل وفلسطين. 190 وفي تقرير مشترك صدر مؤخراً، رأى اثنان من أبرز المفكرين الأمريكيين وهما مجلس العلاقات الخارجيّة ومؤسسة بروكينغز ما يلي: "لا يُمكن التوصل إلى مبادرة دبلوماسيّة فعاليّة ترمي إلى ما يلي: "لا يُمكن التوصل الاثنان إلى ما يلي "طالما أنّ الصفّ نفسها". 191 وخلص الاثنان إلى ما يلي "طالما أنّ الصفّ الفلسطيني مصدع، يُستبعد التوصل إلى اتفاق حول الوضع

Crisis Group interview 187 مسؤولون في حماس، دمشق، تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

Crisis Group interviews <sup>188</sup> مسؤولون مصريّون وأمريكيّون، والشنطن، كانون الأوّل/ديسمبر 2008. ولقد تقاذف المصريّون والسوريّون الاتهامات منذ اجتماع جامعة الدول العربيّة في شهر والسوريّون الاتهامات منذ اجتماع جامعة الدول العربيّة وليد المعلم تشرين الثاني/نوفمبر حيث قال وزير الخارجيّة السوريّة وليد المعلم "إنّه على الوسيط المصري أن يظلّ على مسافة واحدة من جميع الفصائل الفلسطينيّة"، وردّت القاهرة قائلة "إنّه على سوريا أن تتخذ موقفاً محايداً". وكالة الأنباء الفرنسيّة، 4 كانون الأوّل/ديسمبر 2008. موقفاً محايداً". وكالة الأنباء الفرنسيّة، 4 كانون الأوّل/ديسمبر 1898. تشرين الثاني/نوفمبر 2008.

190 بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، قال أمين عام الأمم المتحدة بان كيمون "أكرر التعبير عن قلقي العميق لاتساع الفجوة في الصف الفلسطيني. وأدعو حماس وجميع الفصائل الفلسطينية إلى المعاجلة إلى إعادة توحيد قطاع غزة والضفة الغربية تحت مظلة السلطة الفلسطينية الشرعية. ويجب أن يتم هذا بما يسمح لعملية السلام بأن تسير إلى الأمام". وفي تصريح اللجنة الرباعية الصادر في شهر أيلول/سبتمبر 2008، أعربت الأخيرة عن الحاجة إلى إعادة اللحمة إلى صفوف الفلسطينية. الطلاقاً من تعهدات منظمة التحرير الفلسطينية. وشدد مسؤولون في الأمم المتحدة على أنّ هذه اللغة ليست التي تؤثر ها الولايات المتحدة ولكنّ الغاية منها كانت إرسال رسالة مبطنة إلى حماس. Crisis Group interview، نيويورك، أيلول/سبتمبر 2008.

Addressing the Arab-"، قي تلهامي، "-Restoring the Balance مركز سابان "Israeli Conflict"، في Restoring the Balance. مركز سابان لمدى بروكينغز ومجلس العلاقات الخارجيّة (2008)، ص. 133، تقرير مجموعة الأزمات رقم 49، أدخل حماس تحدّيات الدمج السياسي، 18 كانون الثاني/يناير 2006.

النهائي، وفي حال التوصل إليه، من غير المرجح أن يُسوّق له أو أن يُطبّق بنجاح". 192

ولكن نظراً للوقت الذي استغرقته عمليّة وضع اليد، أصبح احتمال الوحدة فرقداً يحلق أبعد وأبعد. ولقد أسهم انهيار اتفاق مكّة والعزل الدولي لحكومة الوحدة ووضع اليد على غزّة في تغيير المشهد وفي تعقيد الوضع الصعب أصلاً. ولقد تنامى التخوين المتبادل. ويرى كلّ من فتح وحماس في الوقت حليفا لهما؛ ولا يرى أيِّ منهما في التسوية خدمة لمصلحته؛ وترى التشدد في كلّ من الحركتين يفوز بالمؤيدين. وليست هذه المكوّنات مجموعة أفضل وصفة لليونة.

ولكن يُمكن للوضع أن يتبدّل. بعد انتخابات شهر شباط/فبراير 2009، يُرجح أن تواجه السلطة الفلسطينيّة حكومة إسرائيليّة أقلّ استعداداً للقيام بتنازلات سياسيّة من تلك التي لم ينجح عبّاس في التوصل إلى اتفاق معها في هذه السنة. وإذا صحّت التوقعات واضمحلّ احتمال التوصل إلى اتفاق حول الوضع النهائي، تنامى الضغط الممارس على الرئيس وعلى زملائه للمشاركة في جهود مصالحة فعليّة وفي الوقت نفسه، يُرجح في الإدارة الأمريكيّة الجديدة أن تعمد إلى إتباع منحى الدبلوماسيّة مع إيران وسوريا وأن تنضم إلى المفاوضات الإسرائيليّة السوريّة؛ وفي مثل هذه الظروف، يُمكن لدمشق أن ترى بأنّ خفض التوتر في الصفّ الفلسطيني من جهة وإغراق غزة المحاصرة في دوّامة العنف مع إسرائيل من جهة أخرى قد يُعقد الوضع للقيادة السوريّة. [19] ويُمكن في مقاربة أمريكيّة جديدة حيال دمشق وطهران أن تُبدّل حسابات حماس وميزان القوى في داخل الحركة فترجّح كفّة المصالحة.

وقد يُسهم مكوّن ثالث في حسم الوضع ولكن وجوده غير أكيد. وهو أن تُبيّن الولايات المتحدة وغيرها من أفراد الأسرة الدوليّة بوضوح بأنها لن تعارض هذه المرة قيام شراكة بين فتح وحماس وأنها ستحكم على الحكومة من منطلق مسلكها لا تشكيلتها؛ وبأنّها ستقيّم الحركة الإسلاميّة على أساس أكثر براغماتيّة. ويفيد مجلس العلاقات الخارجيّة وبروكينغز في دراسة ترجّح وجهة نظر مجموعة الأزمات أنّه "يجب على الولايات المتحدة أن تبدي استعداداً للتنازل عن إصرارها على موافقة حماس على معايير اللجنة الرباعيّة – الاعتراف بإسرائيل، والتخلي عن النزاع المسلح، والامتثال للاتفاقات المبرمة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينيّة مسبقًا" شريطة أن تحترم الحركة وقف إطلاق النار وان توافق على مبادرة السلام العربيّة.

<sup>&</sup>lt;sup>192</sup> Addressing the Arab-Israeli Conflict <sup>193</sup>، المرجع نفسه، ص. 153. إنّ مبادرة السلام العربيّة الصادرة في قمّة بيروت عام 2002 والتي جرت المصادقة عليها مجدداً في قمّة الرياض لعام 2007، تعرض على إسرائيل علاقات طبيعيّة في مقابل انسحاب إلى حدود العام 1967 وقيام دولة فلسطينيّة عاصمتها القدس الشرقيّة وحلّ "عادل" و"متفق عليها" لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

<sup>194</sup> المرجع نفسه، ص. 133.

وكحلّ بديل، انطلاقاً من اقتراح تقدّمت به مجموعة الأزمات، قد تتعهد الحركة باحترام وقف إطلاق النار، وتعترف بسلطة عبّاس للتفاوض على اتفاق مع إسرائيل والالتزام بالانصياع لحصيلة استفتاء شعبي يلي أي اتفاق يتم التوصل إليه. وبيت القصيد أن الوحدة التي بدت ممكنة قبل سنتين قد استحالت محاولة أكثر تعقيداً يقتضي تحقيقها تغيّراً أكثر جذريّة في المشهد الدولي والإقليمي.

وبانتظار تحقيق تغيّرات جذريّة إلى هذا الحد، سوف تستمر حماس بتدعيم معقلها في غزّة. وسيُعزز خصومها السيطرة على الضفّة الغربيّة ويسعون لتحسين الظروف الأمنيّة والاقتصاديّة

فيها. ويعتقد الرئيس والسلطة الفلسطينيّة وفتح من جهة وحماس من جهة أخرى أن عامل الوقت لصالحهم. ولكن لا يُمكن أن للطرفين أن يكونا على حقّ بل قد يتضح أنّ كلاهما على خطأ. فالفريق الأولّ يخاطر بالمراهنة على تحسّن الظروف في الضفة الغربيّة وعلى تقدّم المفاوضات. في حين لا يستطيع الفريق الثاني أي حماس أن يضمن ترجمة سلطته في غزّة إلى مكاسب إضافيّة سيّما على ضوء المعاملة الضارية التي يتلقاها أعضاؤه في الضفة الغربيّة. وعليه، قد يلتمس الطرفان تقلص شعبيّتهما سيّما على ضوء استمرارهما في إخضاع المصالح الوطنيّة لأولويّات الفصائل.

رام الله، غزّة، بروكسل، 17 كانون الأوّل/ديسمبر 2008

## ملحق أ نبذة حول مجموعة الأزمات الدولية

إنترناشيونال كرايسز جروب منظمة مستقلة غير حكومية وغير ربحية. وتضم قرابة 130 شخصاً في القارات الخمس يعملون من خلال تحليلات ميدانية وحوارات رفيعة المستوى للحيلولة دون وقوع النزاعات الخطيرة والعمل على حلها.

وتعتمد منهجية كرايسز جروب على البحث الميداني. وتنتشر فرق من المحالين السياسيين في البلدان التي تشهد خطر اندلاع نزاعات عنيفة، أو خطر تصعيدها أو تجددها، أو قرب تلك المعلومات والتقييمات الميدانية، تقدم كرايسز جروب تقارير تحليلية تتضمن توصيات عملية موجهة إلى كبار صانعي القرار الدوليين. كما تنشر كرايسز جروب أيضاً مجلة "كرايسز ووتش"، وهي مجلة شهرية تقع في اثنتي عشرة صفحة وتقدم معلومات محدثة محكمة حول مجريات الأمور في جميع حالات النزاع الهامة أو النزاعات المحتمل وقوعها حول العالم.

ويجري توزيع تقارير كرايسز جروب وخلاصاتها على نطاق واسع عن طريق البريد الإلكتروني والنسخ المطبوعة، وذلك على المسؤولين في وزارات الخارجية والمنظمات الدولية، كما تتوفر في الوقت عينه عبر موقعنا على الإنترنت، وهو: ملا www.crisisgroup.org. وتعمل كرايسز جروب ضمن تعاون وثيق مع الحكومات ومع الجهات المؤثرة عليها، كوسائل الإعلام، لكي تلقي الضوء على تحليلها للأزمة، وبغية خلق الدعم السياسات التي تقترحها.

أما مجلس إدارة كرايسز جروب، وهو يضم شخصيات بارزة في ميادين السياسة والدبلوماسية والأعمال والإعلام، فيساهم مساهمة مباشرة في لفت أنظار كبار صانعي السياسة في مختلف أنحاء العالم إلى تقاريرها وتوصياتها. ويتقاسم رئاسة مجلس إدارة كرايسز جروب كل من مفوض العلاقات الخارجية الأسبق في الاتحاد الأوروبي كريستوفر باتن والنائب الأول لرئيس شركة بوينغ ومستشار العلاقات الخارجية والسفير الأمريكي السابق ثوماس بيكرينغ. أما رئيس كرايسز جروب ومديرها التنفيذي الأول منذ كانون الثاني/يناير 2000 فهو وزير الخارجية الأسترالي الأسبق غاريث إيفانز.

يقع المقر الرئيسي لكرايسز جروب في بروكسل، أما مكاتبها الدعائية فتقع في واشنطن العاصمة (ولها كيانٌ قانوني هناك)، وفي نيويورك ولندن وموسكو. وتدير المنظمة حالياً أإحد عشر مكتباً ميدانياً (في عمان وبيشكك وبوغوتا والقاهرة وداكار ودوشنبي وإسلام أباد وجاكارتا وكابول ونيروبي وبريتوريا)، كما يعمل المحللون في أكثر من خمسين بلداً ومنطقة تعاني الأزمات في أربع قارات. وفي أفريقيا، تشمل هذه البلدان تشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى وبوروندي وساحل العاج وجمهورية

الكونغو الديمقراطية وأريتريا وأثيوبيا وغيني وكينيا وليبيريا ورواندا وسييرا ليوني والصومال والسودان وأوغندا وزمبابوي؛ أما في آسيا فهي: أفغانستان وبنغلادش وإندونيسيا وكشمير وكاز اخستان وقرغيزستان وميانمار/بورما ونيبال وكوريا الشمالية وباكستان والفيليبين وسريلانكا وطاجيكستان وتايلاندا وتيمور ليستي وتركمانستان وأزوبكستان. أما في أوروبا فهذه البلدان هي: أرمينيا وأذربيجان والبوسنة والهرسك وقبرص وجورجيا وكوسوفو وصربيا وتركيا. أما في الشرق الأوسط فهي المنطقة كلها من شمال أفريقيا حتى إيران. وهي تشمل في أمريكا اللاتينية: كولومبيا ومنطقة الآند وهاييتي.

وتحصل كرايسز جروب على التمويل من تبرعات الحكومات والمؤسسات الخيرية والشركات والأفراد. وفي الوقت الحاضر، تقدم التمويل كلُّ من الجهات والمؤسسات الحكومية التالية: الوكالة الأسترالية للتنمية الدولية، ووزارة الشؤون الخارجية الاتحادية الأسترالية، ووزارة الشؤون الخارجية البلجيكية، ووزارة الشؤون الخارجية والتجارة الدولية الكندية، ووكالة التنمية الدولية الكندية، والمركز الكندي لأبحاث التنمية الدولية، ووزارة الشؤون الخارجية التشيكية، ووزارة الشؤون الخارجية الهولندية، والاتحاد الأوروبي (المفوضية الأوروبية)، ووزارة الشؤون الخارجية الفنادية، ووزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، ووزارة الخارجية الألمانية، ووزارة الشؤون الخارجية الإيرلندية، والوكالة اليابانية للتعاون الدولي، ووزارة الشؤون الخارجية في أمارة ليخنشتاين، ووزارة الشؤون الخارجية في اللوكسمبورغ، ووكالة التنمية الدولية النيوزلندية، دولة قطر، ووزارة الشؤون الخارجية الملكية الدانماركية، ووزارة الشؤون الخارجية الملكية النرويجية، ووزارة الشؤون الخارجية السويدية، ووزارة الشؤون الخارجية الفيدرالية السويسرية، ومكتب الشؤون الخارجية والكومنولث في المملكة المتحدة، ووزارة التنمية الدولية في المملكة المتحدة، ووكالة التنمية الدولية في الولايات المتحدة ووزارة الشؤون الخارجية التركية.

ومن المانحين من القطاع الخاص والمؤسسات ومموّلي صندوق تامين المستقبل مؤسسة كارنيجي في نيويورك، ومؤسسة دارا كومبتون، ومؤسسة عائلة غند، ومؤسسة فورد، ومؤسسة دارا إنترناشيونال، ومؤسسة بيل وميليندا غيتس، ومؤسسة وليام وفلورا هيويلت، وصندوق هانت أولترناتيف، ومؤسسة كوريا، ومؤسسة جون وكاثرين ماك آرثر، وصندوق موريا، ومؤسسة تشارلز ستيوارت موت، ومؤسسة أوبن سوسايتي، ومؤسسة ديفيد ولوسيل باكارد، وصندوق بلاوشيرز، واتحاد زيغريد روزينغ، ومؤسسة بروفيكتيمز، ومؤسسة رادكليف واتحاد فيفا.

كانون الأول/ديسمبر 2008



#### **International Headquarters**

149 Avenue Louise, 1050 Brussels, Belgium • Tel: +32 2 502 90 38 • Fax: +32 2 502 50 38 E-mail: brussels@crisisgroup.org

#### **New York Office**

420 Lexington Avenue, Suite 2640, New York 10170 · Tel: +1 212 813 0820 · Fax: +1 212 813 0825 E-mail: <a href="mailto:newyork@crisisgroup.org">newyork@crisisgroup.org</a>

#### **Washington Office**

1629 K Street, Suite 450, Washington DC 20006 • Tel: +1 202 785 1601 • Fax: +1 202 785 1630 E-mail: washington@crisisgroup.org

#### **London Office**

48 Gray's Inn Road, London WC1X 8LT • Tel: +44 20 7831 1436 • Fax: +44 20 7242 8135 E-mail: london@crisisgroup.org

#### **Moscow Office**

Belomorskaya st., 14-1 – Moscow 125195 Russia · Tel/Fax: +7-495-455-9798 E-mail: moscow@crisisgroup.org

#### **Regional Offices and Field Representation**

Crisis Group also operates from some 27 different locations in Africa, Asia, Europe, the Middle East and Latin America. See <a href="https://www.crisisgroup.org">www.crisisgroup.org</a> for details.